
بين
ألفية ابن مُعطي
وألفية ابن مالك

بقلم الدكتور: عبد الكريم محمد الأسعد

المقصود بمصطلح الألفية :

حمل لنا التراث فيما حمل كثيراً من الألفيات فى النحو بمعناه العام الذى يشمل الصرف ـ وكذلك فى غيره من العلوم الأخرى ـ لكن الشهرة واستمرار التداول كانا من نصيب بعضها الذى مازال حتى الآن محطّ أنظار الباحثين ومناط اهتمام الدارسين ومحلّ تحصيلهم .

ومن المعروف انه إذا أطلق لفظ الألفية فانه يراد به المنظومة التى بلغت عدة أبياتها ألف بيت أو نحوها زيادة أو نقصاً ، ولم يكن لفظ الألفية يعنى دائما وبالضرورة ألف بيت بالتمام والكمال دون زيادة أو نقصان ، فدرّة ابن معطى مثلا التى ذكر صاحبها أنها :

أرجوزة وجيزة فى النحو عدّتها ألف خلت من حشو

لم تكن ألف بيت تماماً ، بل هى تقع فى ألف بيت وبيتين من الرجز وسريع[١] المزدوج ، باستثناء المقدمة والخاتمة وعدة أبياتها تسعة عشر بيتاً[٢] . وخلاصة ابن مالك أيضاً التى وصفها بقوله :

وأستعين الله فى ألفيه مقاصد النحو بها محويّه

قيل إنّها تنقص عن الألف ستة أبيات ، وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد . ويبدو أنّ جمهرة من جاء بعد ابن معطى وابن مالك ممّن نظموا فى النحو . وكذلك غيرهم ممّن نظموا



فى غيره من العلوم ، آثروا فى أراجيزهم المطوّلة أن تكون ألفيات مماثلة لألفيتيها . ولعلّ السبب الذى حملهم على ذلك ما يمكن أن يكونوا لاحظوه من أنّ العرب كانوا يميلون إلى هذا العدد كلّ الميل ،وبخاصة فى الرسائل المنظومة ، كما يدلّ عليه صنيعهم فى ألف ليلة وليلة . ونحوها من الأعمال الأدبية[٣] .

ونحن سنعرض فى هذا البحث لألفيتين مرموقتين ومشتهرتين فى دنيا النحو وعالم النحويين ، نجرى عليهما الدرس ، ونقوم من خلاله بالمقارنة بينهما من بعض النواحى الهامة ، وهما ألفية ابن معطى ، وألفية ابن مالك .

ابن معطى وآثاره :

هو إمام زمانه فى العربية زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطى المغربى المعروف بابن معطٍ المولود فى المغرب سنة ٥٦٤ هـ والمتوفى فى القاهرة سنة ٦٢٨هـ كانت له حياة علمية خصبة ، من معالمها كثرة محفوظه من اللغة ، فقد حفظ مثلا كتاب صحاح الجوهرى ، ومن معالمها أيضاً تعدد آثاره الحميدة التى خلّفها فى مختلف العلوم ، ومن أهمها[٥] : الفية فى النحو ، والفصول الخمسون[٦]ت٦٣ ، والبديع فى صناعة الشعر أو «البديع فى علم البديع [٧] وهو قصيدة مختلفة الوزن والقافية عالج فيها ألوان البديع ، وأرجوزة فى النحو مبلغها عشرة آلاف بيت ، وحواشى [٨] على أصول ابن السرّاج ، والعقود والقوانين فى النحو ، وشرح جمل الزجاجى ، وشرح منظوم لأبيات سيبويه ، وشرح المقدمة الجزولية المشهورة لشيخه الجُزُولى المغربى ، وأربع قصائد ، فى العروض ، وفى القراءات السبع ، وفى المثلثات اللغوية ، وفى نظم كتاب الجمهرة فى اللغة لابن دريد ، وقصيدة خامسة فى نظم صحاح الجوهرى لم يكملها وهى أخر تصانيفه .

وكان ابن معطى ناظماً مجيداً حتى ليعدّ إمام النظم العلمى فى عصره لايزاحمه فى هذه الصفه أحد . لذلك كانت معظم آثاره من النظم العلمى كما رأينا . وكان ذكياً أريباً بدت ملامح النجابة فيه منذ وقت مبكّر من حياته العلمية . يدلّ على ذلك أنّه فرغ من نظم ألفيته الشهيرة وهو فى الحادية والثلاثين من عمره . إذ نظمها كما سيأتى ٥٩٥هـ .

وكان لابن معطى أساتذة مشهورون ، وتلاميذ كثيرون ولكنهم مغمورون ، فقد سمع فى المغرب من النحوىّ المعروف الجُزُولى المتوفى هناك ٦٠٧هـ . ويعدّ هذا أوّل شيوخه وأهمّهم . وعندما هاجر إلى دمشق سمع من التاج الكندى أبو اليُمْن زيد بن الحسن المتوفى فيها سنة ٦١٣هـ . ثم أقرأ النحو فى دمشق مدة . وهناك اتصل **بالملك المعظّم عيسى بن محمد الأيوبى سلطان الشام** ، وكان من علماء الملوك محبا للعلم مكرماً للعلماء[٩] . عالماً بالعربية . ثم انتقل الى مصر سنة ٦٢٤ . ويقال إنّ سبب[١٠] ذلك أنّه حضر مرّة مجلس سلطان مصر الملك الكامل مع جماعة من العلماء حين زار دمشق وسألهم : هل يجوز فى زيد من قولنا : زيد ذُهِبَ به ، النصب ؟ فقالوا لا . فقال ابن معطى : يجوز النصب . على أن يكون المرتفع بذُهِبَ المصدر الذى دلّ عليه ذُهِبَ وهو الذهاب . وعلى هذا فموضع الجارّ والمجرور الذى هو به النّصْب . فيجىء من باب زيد مَرَرْتُ به . إذ يجوز فى زيد النصب . فكذلك هاهنا .

وقد استحسن الملك الكامل جوابه وأغراه بالسفر معه الى مصر فسافر . وقرّر له معلوماً على أن يُقرىء الناس النحو بالجامع العتيق بمصر . وهكذا فعل وتصدّر لتدريسه فى هذا الجامع .

* * * *



ألفية ابن معطى :

نظم ابن معطى ألفيته فى النحو والصرف . وقد سميت هذه الألفية بأسمه ونسبت إليه . ولم تلبث أن اشتهرت به واشتهر بها . ولا أعلم منظومة فى النحو أو فى غيره حملت اسم



«الألفية» بالذات قبل ألفية ابن معطى هذه » ويظهر أنه كان أوّل من ألّف منظومة فى ألف بيت ـ ألفية ـ فى النحو[١٢]

ولم تكن هذه الألفية المنظومة الوحيدة لابن معطى فى النحو . فقد قيل إنّه صنع فيه أيضاً أرجوزة مبلغها عشرة آلاف بيت كما ذكرنا فى آثاره قبل قليل[١٣] . ولكننا لانعرف عن هذه الأرجوزة الطويلة شيئاً .

أما ألفيته فمن المقطوع به أنّه قد أتمّ نظمها سنة ٥٩٥هـ كما صرّح هو نفسه بذلك فى خاتمتها ، قال :

نظمهـا يحيــى بن معطــى المغربى تذكرة وجيزة للمُغرب
وفْــقَ مُراد المنتهــى والنَّشْأه فى الخمس والتسعين والخمس مائـه[١٥]

أمّا مكان النظم فقد ذكر الشربينى[١٦] المتوفى سنة ٦٨٥هـ شارح الفية ابن معطى أنّه نظمها فى دمشق . وقيل إنّه أتمها فى القاهرة .

وقد أطلق ابن معطى على أرجوزته اسم «الدرّة الألفية» نجد هذه التسمية فى قوله فى خاتمة ألفيته :

تحــويه أشعارهــم المرويّه هذا تمــام الــدرّة الألفيه

وسمّاها ابن خلدون « الأرجوزة الألفية » . أمّا ابن مالك فقد سمّاها «ألفية ابن معطى» وذلك حين قوله عن خلاصته :

وتقتضى رضــاً بغــير سخط فائقــة ألفية ابــن معطى

وهى على كل حال اكثر التسميات رواجاً على ألسنة الدارسين حتى اليوم . وقد لقيت هذه

الألفية الهامة الاهتمام الذى تستحقه فى مختلف الأمصار الاسلامية . فتوالت عيها الشروح ، وقدر لها أن تنشر ايضاً فى الغرب فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى أى فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى المنصرم على يد أحد المستشرقين كما ذكرنا سابقا .

شرّاح ألفية ابن معطى وشروحهم :

شغلت ألفية ابن معطى العلماء فى مختلف الأمصار ، فتعاقبوا على شرحهـا ، وأورثونـا شروحاً عليها إن لم تبلغ عدة شروح ألفية ابن مالك فى كثرتها . فانها بلاشك كثيرة أيضاً إلى حدّ يبين اهتمام الناس بها وانصرافهم الى تحصيلها ، ولقد عرفنا من شروحها :

- شرح ابن الخباز الموصلى النحوىّ الضرير المتوفى سنة ٦٣٧هـ ، وسمّى شرحه «الغرة المخفية فى شرح الدّرة الألفية» وقد نقل عنه السيوطى كثيرا فى كتابه الأشباه والنظائر
- شرح الحسن بن عبد المجيد المراغى النحوى المعروف بسعفص المتوفى سنة ٦٦٦هـ .
- شرح الشريشى الاندلسى المتوفى بدمشق سنة ٦٨٥ وسمى شرحه (التعليقات الوفية بشرح الدرة الالفية) وقد وصفه الجلال السيوطى [١٩] بأنه شرح جليل ، وقال عنه صاحب الكشف «وهو شرح كبير فى مجلدين[٢٠]» وهو غير الشريشى شارح مقامات الحريرى .
- شرح أبن القواس الموصلى المتوفى سنة ٦٩٦هـ وأسمه «المباحث الخفية فى حلّ مشكلات الألفية» وقد نقل عنه السيوطى كثيراً فى كتابه الأشباه [٢١] والنظائر . ولهذا الشرح ملخص نقل عنه ياسين [٢٢] العليمى فى حاشيته على شرح التصريح على التوضيح .
- شرح أحمد بن جُبَاره المقدس المرداوى المتوفى سنة ٧٢٨هـ
- شرح عبد المطلب بن المرتضى الحسينى الشريف الجزرى المتوفى سنة ٧٣٥هـ
- شرح عمر بن مظفّر زين الدين بن الوردى المصرى الحلبى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ وأسم شرحه «ضوء الدره»



- شرح أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي أبي جعفر الأندلسي المتوفى سنة ٧٧٩هـ وهو شرح عظيم حافل في أحد عشر[٢٣] مجلداً .
- شرح محمد بن أحمد بن جابر الأندلسي الهواري الملقب بالأعمى المتوفى ٧٨٠هـ ، قال الجلال السيوطي عن هذا الشرح أخبرني بعض أدباء صفد قدم علينا القاهرة أنه رأى له شرحاً على ألفية ابن معطٍ في ثلاثة مجلدات . ولم أقف عليه[٢٤] وقال عنه صاحب الكشف أنه في ثمانية مجلدات[٢٥]
- شرح محمد بن محمود أكمل الدين البابرتي المتوفى سنة ٧٨٦هـ ، صنّفه سنة ٧٤١هـ وسمّاه «الصدفة المليّة بالدرة الألفيه» .
- شرح القاضي يوسف بن الحسن بن محمد أبي المحاسن الحمويّ المتوفى سنة ٨٠٩ ، المعروف بابن خطيب المنصورية ، وفي هذا الشرح خلاف ، فقد جعله السخاوي [٢٦] والشوكاني [٢٧] لألفية ابن معطي ، وجعله الجلال السيوطي [٢٨] وابن العماد [٢٩] الحنبلي وحاجي خليفة [٣٠] لألفية ابن مالك ، وعندي أنّ الأول أرجح لتقدّم السخاوي ومتابعة الشوكاني له ، ولتأخر اكثر من خالفها ، وعلى الأول الزركلي[٣١] ، أما كحاله [٣٢] فقد جمع بين القولين وذكر انّ ليوسف الحموي شرحين ، أحدهما لألفية ابن مالك والثاني لألفية ابن معطي .

محتوياتها وترتيبها وأسلوبها :

اشتملت ألفية ابن معطي على اثنين وثلاثين باباً سوى المقدمة التي تقع في خمسة عشر بيتاً ، والتي جعلها الناظم متصلة بالباب الأول اتصالا مباشراً دون فاصل . وهو باب القول في حدّ الكلام والكلم الذي يتكون من سبعة عشر بيتاً . وسوى الخاتمة التي تقع في أربعة أبيات والتي جعلها الناظم أيضاً متصلة ـ كاتصال المقدمة ـ بالباب الأخير وهو باب القول

فى [٣٣] الادغام بأختصار الذى يتألف من ثلاثة عشر بيتاً .

وقد ضمن أبن معطى مقدمته الطويلة نسبياً ما تتضمنه المقدمات المعتادة على ماهو واضح لايحتاج الى إيضاح . فكان مّما قاله فيها قبيل أن يتحدث عن حدّ الكلام والكلم :

الحمــد لله الــذى هدانا بأحمــد دينــا له أرتضانــا [٣٤]
صلّ عليه الله ثم سلّما وآلــه وصحبــه وكرّما
وبعــد فالعلــم جليل القدر وفى قليلــه نفــاد العمر
وذا حَذا إخــوان صدق لى على أن أقتضــوا منّــى لهــم أن أجْعَلا
أرجــوزةً وجيزةً فى النحو عذبتهــا ألف خلــت من حشو
فقلــت غــير آمــن من حاسد أو جاهــل أو عالــم معاند
بالله ربّــى فى الأمــور أعتصم القــول فى حدّ الــكلام والكلم

ونظم فى نهاية الباب الأخير خاتمة موجزة ضمّنها ايضاً ماتتضمنه الخواتيم فى العاده فقال فى نهاية باب القول فى الادغام بأختصار :

والفصــل والقلــب وقصر ما يمدّ وشــدّ ماخفّ وفــكّ مايشدّ

ثم ختم بقوله :

تحــويه أشعارهــم المرويّه هذا تمــام الــدرّة الألفيه
نظمهــا يحيــى بن معطــى المغربى تذكرة وجيزة للمغرب
وفــق مراد المنتهــى والنشأه فى الخمس والتسعــين والخمس مائه
والحمــد لله به أعتصم ثم على نبيّه أسلمّ



وفيما يخصّ ترتيب أبواب الألفية فقد كان منهج أبن معطى فيه قائماً على الفصل بين النحو والصرف . وعلى ذكر النحو أولا ثم ذكر الصرف . وهو المنهج الذى ساد النظم فيما بعد على ماهوَ واضح فى ألفية أبن مالك مثلا . فنحن نجد اكثر القسم الأول فى النحو . وقد شمل فيما شمله من أبواب : الكلام والكلم . والاعراب والبناء . والأسماء الستة . وحروف الجرّ والقسم . وبيان غير المنصرف . والاستثناء . والمفعول الذى لم يسمّ فاعله . والتصريف والتنكير . والتوابع . والمبتدأ والخبر . والنداء . والعدد . والاشتغال . ونعم وبئس . وغير ذلك.

ونحن نجد القسم الثانى فى الصرف . وقد تضمّن جموع التكسير . والتصغير . والنسب . والمقصور والمنقوص والممدود . والامالة . وأبنية المصادر . والادغام . كما تضمّن التصريف الذى أعتبره الناظم زيادة وحذفاً وبدلا وتضمّن الإعلال بأنواعه الذى سمّاه تصريفاً أيضاً . وتضمّن غير ذلك .

أما أسلوب أبن معطى فى ألفيته فقد كانت تغلب عليه العذوبة والسلاسة . كما كان يتصف بالاحكام فى صياغة القواعد والأحكام النحوية . ويبدو أنّ أشتغاله بالأدب درساً وتصنيفاً قد أثّر فى معالجته لقواعد النحو نظماً . فجعلها موسومة بالظهور والوضوح واليسر . وأضفى عليها سمة من الرقة الأدبية خففت من القسوة المعتادة فى المنظومات العلمية .

ومن النماذج الواضحة التى لا لبس فيها ولاخفاء أو غموض قوله فى باب المنوع من الصرف :

وإن ترد قبيلةً أو أُماً لم ينصرف كتغلبٍ ولخما
كذا إذا أردتَ بالبُلدان تأنيث تعريفٍ كمنْ عُمان
لم ينصرف إنْ بقعةً أردتا وإن أردت موضعاً صرفتا
كواسطٍ ودابقٍ وفَلْج دليلُها فى الشعر للمحتج

وأيسر منه وأوضح قوله فى «إعراب الفعل» مثلا :

هذا خصوصاً معرب مرتفع   وأجزمه وأنصبه بما ستستمع
فجزمه بلم ولمّا وألم   ولام أمر وبلا النهى أنجزم
ونصبه بأن ولن ثم إذن   وأحرف فيها أتى إضمار أنْ

ولكن أسلوب ابن معطى كان يجفّ أحياناً ويقسو . وربّما حملته على ذلك الطبيعة القاسية للموضوع الذى يتعّرض له وينظم فى ألفيته بابه . أو الصعوبة الطبيعية التى تنطوى عليها فى العادة المصطلحات العلمية التى يتعّرض لها . والأبيات الصعبة فى منظومته فى مجموعها ليست كثيرة . ومنها قوله فى باب الاشتغال مثلا :

وإن أتت همزة الاستفهام   أو حرف نفى أول الكلام
أو كان أمراً فى مكان الخبر   وقبله منصوب فعل مظهر
كمثل زيداً إضربن عبده   وخالداً لاتخلفنَ وعده
فالنصب فى جميع هذا أجود   والرفع أيضاً عربىٌ جيد

ومنها أيضاً قوله حين عالج مخارج الحروف وصفاتها :

حلقية لهويّة   شجرية وأسَليّة مع النطعيّه
ولثوية مع الذلقيه   وشفهية مع اللينية

مهموسة مجهورة مسترخية[٣٥]   شديدة [٣٦] بينها مستعليه
مطبقه منحرف مكرر   هاوٍ أغنانِ [٣٧] طويل [٣٨] صفر





مذهب ابن معطي النحوي :

تبدو بصرية ابن معطي جلية فى ألفيته . وكذلك فى كتابه الفصول الخمسون وهما منشوران . اما ماعدا هذين من مصنفات ابن معطى فهو مفقود لاندرى عنه شيئاً . أو مخطوط لم يتيسر نشره كما سبق ان ذكرنا .

ومن العلامات الدالة على بصريته أنه كان يحاول فى ألفيته منافسة مُلحة الحريرى البصرى التى كانت أشهر نظم فى نحو البصريين قبل أن ينظم ابن معطى ألفيته . ومن هنا كانت المقارنات تعقد بينهما على أنهما منظومتان فى فنّ واحد بأتجاه وميل ومنهج متشابه . ليمكن من خلالها التعرف على الاجود منها والاكثر دقة وإتقانا . يدل على هذا قول ابن الخباز فى شرحه لقول ابن معطى بأن الفيته «خلت من حشو» : « يحتمل معنيين,أحدهما ان لا يذكر من النحـو الا ما يحتـاج اليه . والثانى أنـه ليس فى أمثلتهـا فضلـه كما فعل الحريرى فى مُلحته . فانّه قد يذكر نصف بيت أو ثلثه من غير فائدة تتمياً للوزن»[٣٩] وقوله أيضاً مبيناً سبب تفوقها على ملحة الحريرى «حاز فى هذه الارجوزة قصب السبق حيث جمع بين اللفظ القليل والمعنى الكثير»[٤٠] .

ومن العلامات الدّالة أيضاً على ميوله البصرية إيثاره مصطلحات البصرين . فقد كان ملايفضّل أستعمال مصطلح الجر الذى يسميه الكوفيون الخفض . قال فى الألفية :

القـــول فى ذكر حروف الجرّ والقســـم اعقبتهـــا فى الذكر

وقال فى «الفصول الخمسـون» «الفصل السابع فى حروف الجرّ . وهى أقسام : لازم الحرفية والجرّ . ولازم الحرفيه غير لازم الجرّ . ومتردّد بين الحرفية والاسمية . ومتردد بين الحرفية والفعلية[٤١] » .

وكان يفضّل ايضا مصطلح التمييز الذى يسميه الكوفيون التبيين أو التفسير . قال فى الألفية :

والأصـــل فى التمييز تفســير العدد   والــكيل والــوزن وممســوح يحُد

وقال فى الفصول «الضرب الخامس التمييز وهو تفسير مبهم بجنس نكرة منصوبة مقدرة بمن[٤٢] . ونحو ذلك من إيثاره مصطلحات البصريين كثير جداً فى ألفيته وكذلك فى فصوله . وواضح فيها أشدّ الوضوح فلا نتوسّع فى ذكره ولا نطيل بالتمثيل له .

ومّما يدلّ على أتجاهاته البصرية كذلك أختياره لآراء البصريين . ولكنه مع ذلك لم يكن متعصباً لهم لافى آرائهم ولا فى مصطلحاتهم . إذ لم يكن يقتصر على ماكان لهم وحدهم من هذه وتلك . بل كان يأخذ فى بعض الأحيان بما يقول به الكوفيون من الآراء . وبما يستعملونه من المصطلحات . فلقد رأينا أبن معطى يستعمل أحياناً مصطلح الجحد وهو مايعنى النفى عند البصريين . قال فى فصوله «ولكن للاستدراك بعد الجحد[٤٣]» ورأيناه يستعمل أيضاً مصطلح النعت عند الكوفيين . وهو مقابل للصفة عند البصريين [٤٤] . فقد أفتتح كلامه عليه فى الفصول بقوله (الفصل السابع فى أسبق التوابع وهو النعت[٤٥]) ثم عرّفه فيه بقوله «فالنعت تخصيص نكرة وإيضاح معرفة وأتى به للفرق بين المشتركين فى الاسم» وقال عنه فى الفصول أيضاً «وكلّ الأسماء تنعت وينعت بها إلاّ المضمر فانه لاينعت ولا ينعت به . والعلم يُنْعَتُ ولايُنْعت به[٤٦]» وأفتتح نظم بابه فى ألفيته بقوله :

النعــت مشتــق بيــن الأسما   أو ما حوى معنــى أشتقــاق حكما
والنعــت كالمنعــوت فى الاعراب   كذاك فى الاربعــة الأبواب
والنعــت كالمنعــوت فى التذكير   وضــدّه كذاك فى التنكير



أمّا نائب الفاعل فانّ ابن معطى عندما شرع بنظم فى ألفيته أبياته لم يطلق عليه هذا المصطلح البصرىّ . بل أطلق عليه مصطلح الكوفيين فقال :

القــول فيا لم يســمّ فاعله قد يحـذف الفاعــل لفظــاً جاهلُه

وفعل مثل هذا فى الفصول فقال «الفصل السادس فى الفعل الذى لم يسمّ فاعله ومن نماذج مختاراته الأكثر من آراء البصريين فى الفروع مايلى :

ـ قال فى الألفية :

وأشتــق الاســم من سما البصريون وأشتقــه من وســم الكوفيون
والمذهــب المقــدّم الجلى دليلــه الأسماء والسُّمىُّ
وأشتــق كوفيون أيضــاً المصدرا من فعلــه نحــو نظــرت نظرا
واشتــق من الفعــل أهــل البصرة وذا الــذى به تليق النُّصره
إذ كلّ فرع فيه ما فى الأصل وليس فى المصــدر ما فى الفعل

وهذا تأييد واضح وصريحٌ للبصْريين . وترجيح لآرائهم لايحتاج إلى فضل إيضاح .

ـ وقال ابن معطى فيها أيضاً :

والمضمَــر المجــرور إن عطفتا عليه جىء بابــه جَرَرْتا
نحــو مضى به وبالغلام وشــذّ فيه بلهْ والايام

وهذا كما هو معروف رأى جمهور البصريين الذين لايجيزون البتة العطف على الضمير المجرور إلاّ باعادة الجارّ إلاّ فى ضرورة الشعر . وقد أجازه الكوفيون (٤٨) وتابعهم فى ذلك ابن مالك . وأحتجوا له بقراءة حمزة (٤٩) أحد القراء السبعة الذى قرأ «واتقوا الله الذى

تسَاءَلُونَ به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً(٥٠)» بجر الارحام (٥١) على العطف على الضمير المبنى على الكسر لفظاً المجرور بالباء محلا دون إعادة الخافض فى اللفظ ، واستشهدوا له كذلك بشعر العرب كقول الشاعر (٥٢) :

فاليوم قربْتَ تهجونا وتشتمنا   فاذْهب فما بك والأيام من عجب

بجرّ الأيام عطفاً على الكاف المجرورة محلا بالباء دون إعادة الجارّ .
وكقول مسكين الدارمى :

تُعلّقُ فى مثل السوارى سُيُوفَنا   وما بينها والكعب غُوطٌ نُفَانِفُ

يخفض الكعب عطفاً على الضمير المخفوض فى بينها للاضافة دون إعادة الخافض وهو المضاف ، وهكذا وقف ابن مالك فى هذه المسألة إلى جانب الكوفيين فى حين وقف ابن معطى فيها الى جانب البصريين :
ـ اعتبر ابن معطى اللام فقط أداة التعريف ، وتابع فى ذلك سيبويه ، قال فى ألفيته :

أمّا المعارف فخمس تُذْكَرُ   أولُها الأعْلام ثم المضمر
والمبهم المخصوصُ والمعرّفُ   باللام والمضاف لاسم يُعْرَفُ

ومن نماذج مختاراته الأقل من آراء الكوفيين فى الفروع :
ـ قوله فى الألفيه :

والهاءُ للتأنيث قد أميلت   بعد حروفٍ بَعْدَ ذا أُبينت
فى ذوْدِ كَلْبٍ نَهْزِ شمسُ جَنَتْ   كخيفةٍ وقفاً بها وقد ثبت



وهذا يعنى أنّ هاء التأنيث تُمالُ بعد عدّة حروف ذكرها ابن معطى فى ألفيته ، وقد شبهت هاء التأنيث بألفه . فأميلت الفتحة التى قبلها فى الوقف . وذلك فى قراءة الكسائى . وقد جمع ابن معطى هذه الحروف فيا سبق كما ذكرنا . لكن زاد الهاء . ومثاله : نبيهه . ولم يحك إمالتها غير الكسائى إمام المدرسة الكوفية . وهى ليست بعيدة فى القياس[٥٥] . على انّ هذه النماذج ونحوها لاتمنع من القول بأنّ ميول ابن معطى لم تكن محصورة فى إطار واحد هو إطار الاختيار الأكثر من البصريين والأقلّ من الكوفيين ، بل كان يمارس مع ذلك وفى نفس الوقت وعن ثقة واقتدار حريته فى الأخذ والاختيار الواسعين . وهذا فى حقيقة الأمر منهج بغدادى أصيل يبدو عليه فى متابعاته الكثيرة لأعلام المدرسة البغدادية كابن السرّاج وأبى على الفارسى وابن جنى وغيرهم وفى متابعاته الكثيرة أيضاً لشيخه الجُزُولى إلى جانب متابعاته للبصريين والكوفيين .

ومن نماذج متابعاته الكثيرة لآراء أئمة البغداديين وغيرهم :

ـ ذهابه الى انّ الاسم يمنع من الصرف لوجود علتين فرعيتين فيه من فروع تسعة[٥٦] متابعاً فى عدد الفروع ابن السراج وأبا على الفارسى وابن جنى والزمخشرى . فى حين قال غيرهم هى عشرة وقال آخرون هى ثمانية .

ـ وماذكره من انّ الحرف قد يبنىٰ على الكسر ، وتمثيله لذلك بالباء فى بزيد ، وجير . فقد عدّ ابن معطى جير حرفاً متابعاً فى ذلك ابن جنى مخالفاً من قال إنها من أسماء الأفعال[٥٧] .

ـ تقييده تعريف الكلام بالوضع فى قوله عنه هو (اللفظ المركب المفيد بالوضع) متابعا فى ذلك[٥٨] شيخه الجُزُولى .

ولم يقتصر الأمر على ماسبق من متابعة ابن معطى الكوفيين حيناً والبغداديين أحياناً والبصريين والجُزُولى كثيراً . بل وجدناه ينفرد فى بعض المسائل بآراء جديدة لم يقل بها أو يذهب إليها أحد . ومن نماذج ذلك :

ـ ذهابه وحده إلى جواز حذف ما النافيه فى جواب القسم إذا كان منفياً بلا . وذلك أسوة

بحذف النحويين لا النافية في مثل هذا الموضع . وقد عبر عن هذا في الألفية بقوله :

وإن أتـى الجـوابُ منفياً بلا أو ماكقـولي : والسُّما مافعلا
فإنـه يجـوزُ حذفُ الحرف إنْ أُمِـنَ الالبـاسُ حالَ الحذفِ
كقولـه : تاللهِ تفتـأُ حُذِف «لا» منـه أي لاتفتـأُ المعنـى عرف

ـ اشتراطه للمفعول لأجله أن يكون أعمّ من عامله . فقد قال في الألفية :

ثم الـذى سُمّـى مفعـولاً لهُ ينصـبُ نحـو جئـت زيداً نُيْلَهُ
مقارنـاً للفعــل فقــلِ الفاعلِ أعــمْ منــه لا بلفــظ العامل

أي يكون المفعول له أعمُ من الفعل . فالنَّيْلَ يجوز أن يكون علّة للمجيء ولغيره . وهذا الشرط لم يذكره غيره ولا قال به أحد من النحاة[٦٠] .

ابن مالك وآثاره :

رحل ابن مالك الأندلسي المتوفى في دمشق سنة ٦٧٢هـ من الأندلس بين عامي ٦٢٥هـ و سنة ٦٣٠هـ . وقد بلغ وهو في المشرق بعد هجرته الغاية في النحو والصرف بخاصة . وصنّف فيهما التصانيف المفيدة العديدة . وأصاب من أجل ذلك شهرة مدوية تحملنا على القول بأطمئنان بأننا لا نكاد نجد نحويا نال تلك الشهرة بأستثناء سيبويه صاحب أشهر كتاب في النحو . وبأننا لانبعد عن الحق والحقيقة إذا اعتبرنا ابن مالك إماما للنحاة في عصره وبعده كما قيل ذلك عن سيبويه صاحب الكتاب . وإذا ذهبنا الى انه يوشك أن يكون لذلك عنوانا لمرحلة متميزة في تاريخ النحو كما كان سيبوية عنوانا لمرحلة سابقة مماثلة في الدرس النحوي .



ولم يقتصر الأمر على النحو ، فقد كان ابن مالك كذلك حافظاً للغة وشواهدها ، قال عنه تاج الدين السبكي « كان إماما فى اللغة ، إماماً فى حفظ الشواهد وضبطها[٦١]» كذلك أتقن القراءات وعللها حتى صار إماما فيها وكان ايضاً من رجال الحديث المعدودين فى عصره ، وقد روى له السيوطى بعض الأحاديث بسنده ضمن أحاديث النحاة الواردة فى خاتمة بغية الوعاة ، وكان يميل الى نظم العلوم ويتقن ذلك حتى عدّ إمام النظم فى علوم العربية ، لأنه كما قال السيوطى « كان نظم الشعر سهلاً عليه : رجزه وطويله وبسيطه وغير ذلك[٦٣] » كما كان مشهوراً « بنظم الضوابط التى تسّهل الأمور الصعبة على المتعلمين فينظم مثلاً فى المقصور والممدود ، وفيما ورد بالضاد والظاء ، وفى ترتيب خيل السباق ونحو ذلك[٦٤] » وقد ترك فى كل هذا آثاراً كثيرة خالدة .

ويعدّ ابن مالك اكثر العلماء نظماً إذ تبلغ عدّة أبياته التى نظمها أكثر من عشرة آلاف بيت فى النحو واللغة والقراءات ، ويبلغ المنظوم من مؤلفاته خمسة عشر مصنّفاً منها ثلاثة فى النحو هى : الكافية الشافية ، والخلاصة الألفية ، ونظم المفصّل ، ومنها عشرة فى اللغة ، ومنها منظومتان كبيرتان فى القراءات ، هذا بالاضافة الى منظومات صغيرة أخرى فى خيل السباق وأسماء الذهب والألغاز وغيرها[٦٥] .

وكان لابن مالك مؤلفات كثيرة فى النحو والصرف ، منها ما هو منثور ومنها ما هو منظوم ، ومن أهمها جميعاً:

- الكافية الشافية فى أربعة وتسعين وسبعمائة وألفين من الأبيات ، ذكر صاحب الأعلام أنها مطبوعة ، وقد نظمها فى حلب .
- الوافية وهى شرح للكافية الشافية ، ذكر صاحب الأعلام أنها مطبوعة .
- شرح تصريف ابن مالك ، وهو شرح لقسم الصرف فى الكافية الشافية .
- لامية الأفعال المسمّاة «كتاب المفتاح فى أبنية الأفعال» وهى منظومة لامية من بحر البسيط فى مائة وأربعة عشر بيتاً ، ويقال لها أيضاً لامية ابن مالك ، وقد لقيت اهتماماً عظيماً من الدارسين

عصراً بعد عصر . وألّفت عليها الشروح والحواشي الكثيرة . وترجمها أحد المستشرقين الى الفرنسية .

- منظومة من بحر الكامل ضمّنها الأفعال الثلاثية المعتلّة الآخر بالواو أو بالياء . نقلها السيوطي في المزهر[٦٧] . وذكر أنّها تسعة واربعون بيتاًمنها بيت واحد لنصر الهوريني المصري .

- الخلاصة الألفية وهي مختصرة من الكافية الشافية . وقد نظمها في حماة بعد الكافية الشافية
- إعراب مشكل البخاري المسمّى «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح»
- تسهيل الجُزُولية . يقول القفطي «شرحها - يعني المقدمة الجزولية - شاب نحويّ من أهل جيّان من الأندلس متصدر بحلب لافادة هذا الشان[٦٩] .

وهكذا يبدو بوضوح انّ إنتاج ابن مالك في النحو والصرف كان غزيراً . وكان كذلك عميقاً . ومع هذا فقد كان سهلاً معبولا فلقى الاهتمام والذيوع والرواج . وحظيت آثاره بعناية فائقة لسهولتها وقرب مأخذها وجمعها للمسائل وشواهدها . لذلك انتفع الدارسون بمؤلفاته ومايزالون ينتفعون . واهتم بها الشرّاح والمحشّون . فوضعوا عليها الشروح والحواشي . ثم علّق المعلّقون على هذه الشروح والحواشي . فكان من كلّ ذلك حصيلة ضخمة يعسر حصرها وتعدادها . وقد نال ابن مالك بمؤلفاته العظيمة منزلة عليا . فقد تداولها العلماء من بعده وتناقلوا أقواله فيها في كتبهم . وعدّه الجميع أفضل من صنّف في علوم العربية من أهل طبقته وأوسعهم اطلاعاً . وأصبحنا لانجد مؤلفاً ممّن صنفوا في قواعد العربية نال من الحظوة عند الناس ومن الاقبال على تصانيفه قراءة وإقراء وشرحاً وتحشية وتعليقاً مثل ابن مالك الذى قيل عنه وعنها «وهو السائرة مصنفاته مسير الشمس»[٧٠] والذى قال أبو حيان الأندلسي فيه وفي تسهيله بالذات «لايكون تحت السماء أنحى ممّن عرف مافي تسهيله .»[٧١]



ألفية ابن مالك :

تعد الخلاصة الألفية أهم آثار ابن مالك وأشهرها وأكثرها تداولا فى كل العصور. وتعد أيضا من أهم كتب النحو العربى على صغر حجمها . وهى على كل حال أشهر المنظومات النحوية وأبرزها على الاطلاق لما تميزت به من سهولة لفظها وعذوبة نظمها . وقد سماها « الخلاصة » لأنها تضم زبدة الأحكام النحوية والصرفية فى منظومته الكبرى « الكافية الشافية » وقد تلت هذه الخلاصة درة ابن معطى الألفية . ولكنها فاقت الدرة فى الشهرة والرواج . بل فاقت كل ماسبقها ومالحقها من سائر المتون المنثورة والمنظومة فى النحو والصرف على حد سواء . ونالت مثل مانال صاحبها من الحظوة الكبيرة والمنزلة العظيمة فى حينها وحتى الآن . وانصرف العلماء إليها وفضلوها على غيرها . ومازال الدارسون يحرصون على استظهارها منذ حوالى ثمانمائة سنة الى اليوم . وصارت مدار التدريس والتصنيف .

يتبارى المؤلفون وبخاصة من علماء مصر والشام فى شرحها . ومن أعجب منهم بشرح ماوضع عليه حاشية تبسط مسائله . وأضحت الألفية وأهم شروحها وحواشيها تدرس فى المعاهد والمدارس وحلقات العلم . وترجمت الى اللغة الفرنسية اكثر من مرة .

وقد اختلفت الروايات فيمن نظم ابن مالك ألفيته برسمه . فذهب بعضها الى انه ألفها لابنه محمد الأسد . وذهب بعضها الآخر الى انه صنفها برسم القاضى ابن البازرى المتوفى ٧٣٨هـ وهو ممن سمعوا ابن مالك .

وقد اشتهرت تسمية منظومة ابن مالك هذه بالألفية اكثر من أشتهارها باسم الخلاصة حتى أصبح لفظ الألفية علما عليها بالغلبة اذا أطلق وحده انصرف اليها ودون غيرها من الألفيات التى لابد من تقييده وتوضيحه اذا اريد الحديث عنه . وحتى جعل عالما كالصبان يعرفها بقوله « الألفية اسم للألفاظ المخصوصة الدالة على المعانى المخصوصة »[٧٢]

وقد ذكر الأشمونى شارح خلاصة ابن مالك ان عدد أبياتها « ألف أو ألفان بناء على أنها من كامل الرجز او مشطوره »(٧٣) وسماها لذلك « القصيدة الألفية »(٧٣) .

وعرض الصبان لما ذكره الأشمونى بالتفسير ، ولتسميته للخلاصة قصيدة بالإنتقاد ، فقال معلقا « قوله ألف : نقل شيخنا السيدان بعضهم أخبر بأنها تنقص عن الألف سنة أبيات ، فلينظر ، فان جماعة ممن أثق بهم أخبرونى بعد التحرى فى عدها بأنها ألف »(٧٤) . وقوله أو ألفان . لايخفى بعده ، وقوله من كامل الرجز : وزنه مستفعلن ست مرات ، والشطر حذف النصف بأن يكون البيت على مستفعلن ثلاث مرات . فعلى أنها من كامله يكون مثلا :

قال محمد هو ابن مالك أحمد ربى الله خير مالك

بيتا مصرعا ، اعنى مجعوله عروضه موافقة لضربه . ويكون كل بيت شعرا مستقلا . وعلى أنها من مشطوره يكون مثلا : قال محمد هو ابن مالك بيتا ، وأحمد ربى الله خير مالك بيتا ، ويكون كل بيتين سعرا مزدوجا مستقلا ، فعلى كل لايسمى مثل هذه الأرجوزة قصيدة لأنهم لا يلتزمون بناء قوافيها على حرف واحد ولا على حركة واحدة ، فلو جعلنا مجموع الأبيات قصيدة للزم وجود الاكفاء والاجازة والاقواء والاصراف فى القصيدة الواحدة ، وتلك عيوب يجب اجتنابها ، وهم لايعدون ذلك فى هذه الأراجيز عيبا ، ولا نجد نكيرا لذلك من العلماء ، كذا فى الدمامينى على الخزرجية ، ومنه يعلم مافى قول الشارح - يعنى الأشمونى - قصيدة(٤) .

ولكن يبدو أن الصبان على الرغم من هذا الانتقاد قد أحب ان يلتمس العذر للأشمونى فى تسميته للخلاصة قصيدة . فذكر انه « يمكن ان يقال سماها قصيدة من حيث مشابهتها للقصيدة فى تعلق بعضها ببعض وفى كونها من بحر واحد ، فتدبر »(٧٥)



وتضم الألفية باستثناء المقدمة والخاتمة أبوابا وفصولا كثيرة تبلغ عدتها جميعا ثمانين . ويتراوح عدد الأبيات فى كل باب وفصل كثرة وقلة حسب طبيعته . وهناك فصول قصيرة اكثرها بدون عنوان وهى ملحقة لذلك بالأبواب التى سبقتها . وأول أبواب الألفية باب الكلام وما يتألف منه . وآخرها باب الأدغام . وهى فى هذا وذاك تشبه أول ابواب الفية ابن معطى وآخرها .

شرّاح ألفية ابن مالك وشروحهم :

لم يوضع على متن من المتون نثرا كان أو نظما مثل ماوضع على ألفية ابن مالك من الشروح المتنوعة . ومن هذه الشروح فى مختلف الأقطار ومتعاقب الأزمان . مطبوعة ومخطوطة ومفقوده :

- **شرح لابن مالك نفسه** ، وهو مفقود إن صح وجوده . قال الجلال السيوطى « ومن أغرب مارأيته فى شرح الشواهد لقاضى القضاة العلامة بدر الدين محمود العينى . قال فى شواهد المبتدأ . ولو لا بنوها حولها لخطبتها : كذا وقع فى كتاب ابن الناظم . وكذا فى شرح الكافية والخلاصة لابيه . وهو تصحيف . وماذكره من ان والده شرح الخلاصة ليس بمعروف . والظاهر انه سهو . ثم رأيت فى تاريخ الاسلام للذهبى ايضا قال فى ترجمة ابن مالك وله الخلاصة وشرحها والله اعلم[٧٦]

- شرح الدرة المضيئة لبدر الدين المتوفى ٦٨٦هـ وقد اشتهر بشرح ابن المصنف او ابن الناظم . وقد خطأ فيه والده فى بعض المواضع . وفرغ من تأليفه ٦٧٦هـ .

- **شرح محمد بن أبى الفتح البعلى المتوفى ٧٠٩ ، وهو احد تلاميذ ابن مالك .**

- **شرح ابراهيم الأسنوى او الأسنائى المتوفى ٧٢١ .**

- **شرح برهان الدين ابراهيم الفزارى المتوفى ٧٢٩**

ـ شرح محمد قدامة المقدسى المتوفى ٧٤٤هـ ، وهو رد على ابى حيان فيا اعترض به على ألفية ابن مالك .

ـ شرح تاج الدين بن التركمانى المتوفى ٧٤٤هـ .

ـ منهج السالك فى الكلام على الفية ابن مالك ، لأبى حيان الأندلسى المتوفى ٧٤٥هـ ،

وقد ذكر أن غرضه فيه تبيين مقيد أطلقه وواضح أغلقه ومخصص عممه ومعين أبهمه ومفصل أجمله وموجز طوله والتنبيه على الخلاف الواقع فى الأحكام ونسبته ان امكن الى من ذهب اليه من الأئمة الأعلام . وحل مايجس فى أنفس النشأة من مشكلاتها وفتح مابلبس[٧٧] من مقفلاتها . وقد شرح فيه معظم الألفية ولكنه لم يكملها . ونشره المستشرق سدنى غليزر فى الولايات المتحدة ١٩٤٧م وكتب له مقدمة بالانجليزية .

● شرح محمد بن أحمد بن اللبان المصرى المتوفى ٧٤٩هـ .

● التوضيح لابن ام قاسم المرادى المغربى المصرى المتوفى ٧٤٩هـ .

● تحرير الخصاصة فى تيسير الخلاصة لعمر بن المظفر الوردى المتوفى ٧٤٩ه .

● أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ، او توضيح ابن هشام الانصارى المتوفى ٧٦١هـ ، وله ايضا شرح أخر على الألفية اسمه « رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة » فى أربعة مجلدات ، وله كذلك تعليق وعدة حواش على الألفية .

● شرح عبد الرحيم بن الحسن الاسنوى المتوفى ٧٦٢هـ ولم يكمله مع أنه كتب منه ست عشرة كراسة ، وفى البغية[٧٨] ان سنة وفاته ٧٧٢هـ .

● شرح محمد بن على النقاش الدكاكى المصرى المتوفى ٧٦٣هـ .

● شرح محمد بن احمد الأسنوى المتوفى ٧٦٣هـ .

● شرح ابراهيم بن محمد بن قيم الجوزية المتوفى ٧٦٥هـ وسماه « ارشاد السالك » .



● شرح ابن عقيل المتوفى ٧٦٩هـ ، وهو شرح مشهور للمبتدئين ، وقد ترجم الى الألمانية ، وطبع فى برلين ١٨٥٢م .

● شرح لمحب الدين القرشى المتوفى ٧٧٥هـ .

● شرح لابن الجراد من علماء القرن الثامن الهجرى .

● شرح محمد بن الصائغ الزمردى المصرى المتوفى ٧٧٦هـ أو ٧٧٧هـ ، قال عنه الجلال السيوطى « وهو فى غاية الحسن والجمع والاختصار »[٧٩]

● شرح محمد بن الحسين الأسنوى المتوفى ٧٧٧هـ ولم يكمله .

● شرح لمحب الدين الحلبى الملقب بناظر الجيش المتوفى ٧٧٨هـ .

● شرح لابن جابر الهوارى الأندلسى المتوفى ٧٨٠هـ وهو المشهور بالأعمى لأنه كان ضريرا . وهذا الشرح مفيد نافع للمبتدئ لاعتنائه باعراب الأبيات وحل[٨١] عبارتها ، قال الجلال السيوطى « لكنه وقع فيه أوهام تتبعتها فى تأليفى المسمى بتحرير شرح الأعمى والبصير »[٨٢] وقد أكمله ٧٥٦[٨٣] .

● شرح ابراهيم الحكرى المصرى المتوفى ٧٨٦

● شرح للشاطبى وهو مخطوط ، وفيه ان المؤلف هو الشاطبى احد علماء القراءات المتوفى بمصر ٥٩٠ . ولايستقيم عندى أن يكون هذا شارحا لالفية ابن مالك مع أن اكثر من قائل نسب اليه شرحه لها ، لأن ابن مالك ناظم الألفية ولد ٦٠٠هـ او قريبا منها ، والصحيح ان شارح الألفية هو النحوى ابراهيم بن موسى بن محمد الغرناطى الأندلسى الشهير بالشاطبى المتوفى بالأندلس[٨٥] سنة ٧٩٠هـ .

● شرح لأبى زيد عبدالرحمن بن على الكوفى المتوفى حوالى ٨٠٠هـ .

● شرحان للمكودى المطرزى الفاسى المتوفى سنة ٢٨٠١هـ احدهما كبير ، والثانى صغير وهو الذى وصل الى مصر ، وهو شرح لطيف نافع استوفى فيه الشرح والاعراب وأكمله ٧٩٩هـ .

● شرح ابن الملقن المصرى المتوفى ٨٠٤هـ .

● « بلغة ذوى الخصاصة فى حل الخلاصة » لمحمد بن شمرى بن ابى العدل المتوفى سنة ٨٠٨هـ .

● شرح بهرام بن عبدالله المالكى المتوفى سنة ٨٠٩هـ وقيل سنة ٨٠٥هـ .

● شرح جلال الدين محمد بن احمد بن خطيب داريا المتوفى سنة ٨١٠هـ ، وقد مزج فيه المتن .[٨٦]

● شرح القاضى احمد بن اسماعيل الشهير بابن الحسبانى المتوفى حوالى سنة ٨١٥هـ .

● « الدرة المضية فى شرح الألفية » للأبناسى المتوفى سنة ٨٢٢هـ ، اكمله فى القدس سنة ٧٦٥هـ .

● شرح لزين الدين شعبان بن داود المصرى الآثارى المتوفى سنة ٨٢٨هـ ، وهو فى ثلاثة مجلدات ولم يكمل .

● شرح اسمه « كاشف الخصاصة عن الفاظ الخلاصة »[٨٦] ذكر بروكلمان انه لمحمد بن محمد بن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣هـ ، وفى الدرر الكامنة انه لمحمد بن يوسف بن عبدالله الجزرى وانه توفى ٧١١هـ وفى كشف الظنون[٨٨]) اسمه محمد بن محمد الجزرى ووفاته سنة ٧١١هـ ، وفى البغية اسمه[٨٩] محمد بن محمود الجزرى المتوفى سنة ٧١١هـ .

● شرح ابن مرزوق التلمسانى الصغير المتوفى سنة ٨٤٢هـ .

● اعراب الألفية لأحمد بن الحسين الرملى المتوفى سنة ٨٤٤هـ .

● شرح منظوم لشمس الدين محمد بن زين الدين المتوفى سنة ٨٤٥هـ .

● شرح لابراهيم القباقبى الحلبى المتوفى سنة ٨٥٠هـ .

● شرح لابراهيم الكركى القاهرى المتوفى سنة ٨٥٣هـ .

● شرح للراعى الأندلسى المتوفى سنة ٨٥٣هـ .

● شرح لابراهيم النواوى المتوفى ٨٥٤ .

● شرح لعز الدين الحسينى القيلوى البغدادى المتوفى سنة ٨٥٩هـ .



● الشرح النبيل الحاوى لكلام ابن المصنف وابن عقيل لمحمد الأقفهسي المتوفى سنة ٨٦٧هـ ، وقد جمع فيه بين كلاميها واضاف فوائد من كلام ابن هشام والزمخشري ، وذكر فيه ان ابن عقيل يستشهد غالبا باشعار العرب ، وابن المصنف يستشهد بها وبآيات القرآن .

● شرح للشمنى المتوفى سنة ٨٧٢هـ ، وقد وصفه حاجى خليفة[٩٠] بأنه شرح بديع مهذب المقاصد ، وأن اسمه منهج السالك الى ألفيه ابن مالك ، ولانعلم أحداً غير حاجى خليفة وتابعه على ذلك[٩١] بروكلمان قد ذكر ان للشمنى شرحا على الألفية بهذا الاسم فضلا عن ان يكون متصفا بهذين الوصفين .

● شرح لزين الدين بن العينى المتوفى سنة ٨٩٣هـ وهو مختصر جدا ، وابن العينى هذا غير بدر الدين العينى صاحب المقاصد النحوية ، وفرائد القلائد المتوفى ٨٥٥هـ .

● « فتح الرب المالك لشرح الفية ابن مالك » للغزى من علماء القرن التاسع ، وهو أوسط حجما .

● « تمرين الطلاب فى صناعة الاعراب » المشهور[٩٢] بمعرب الألفية لخالد الأزهرى المتوفى ٩٠٥هـ .

● « البهجة المرضية فى شرح الألفية »[٩٣] للجلال السيوطى المتوفى ٩١١هـ ، ذكرحاجى[٩٤] خليفة انه شرح مختصر ممزوج مكث فى تأليفه سنتين ، وله ايضا « الوفيه فى أختصار الألفية » .

● « منهج السالك الى ألفية ابن مالك » للأشمونى المتوفى ٩١٨هـ على الأرجح ، وأنفرد[٩٥] بروكلمان بالقول ان وفاته كانت سنة ٨٧٢هـ .

● شرح لبدر الدين محمد بن محمد الرضى المعروف بابن الغزى المتوفى سنة ٩٣٥هـ .

● شرح مختصر لعبد الوهاب الشعرانى المتوفى سنة ٩٧٣هـ .

● شرح لمحمد بن محمد الغزى المتوفى سنة ١٠٦١هـ .

● « حل إعراب الألفية » لمحمد النيسابورى الصادق ، أكمله سنة ١٠٨٢هـ .

● « إرشاد السالك الى فهم ألفية ابن مالك » لمحمد بن مسعود الترمباطى العثمانى ، ألفه سنة ١٢٠٦هـ .

● شرح لعبد الله بن الدمليجى المتوفى ١٢٣٤ هـ .

● « المختصر المفيد » لمحمد محفوظ الدمشقى من علماء القرن الثالث عشر .

● « الكواكب السنية » لعبد الله بن الحسين الادكاوى من علماء القرن الثالث عشر .

● شرح المختار بن بون الشنقيطى المغربى المتوفى بعد ١٣٠٠هـ على ألفية ابن مالك ، وعلى منظومته المسماة « الاحمرار فى معارضة الألفية » معا ، وهذه الفية له ممزوجة بالفية ابن مالك لتتميم أحكامها وشرح مسائلها ، وقد وضع نظم ابن بون بين قوسين لتمييزه عن الفية ابن مالك .

● « الأزهار الزينية » لأحمد بن زينى دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤هـ .

● « ارشاد السالك » لعبدالمجيد الشرنوبى الأزهرى « كان مايزال حيا سنة ١٣٤٤هـ » .

وقد ذكر بروكلمان[١٦] ان للجزولى شرحا على الألفية ولكنه لم يذكر سنة وفاة الشارح او اسم شرحه أو أية معلومات عنها ، ولما كان لفظ الجزولى اذا اطلق انصرف الى النحوى المغربى المشهور عيسى بن عبدالعزيز بن يللبخت ابى موسى المتوفى فى المغرب سنة ٦٠٧هـ ، صاحب المقدمة المشهورة فى النحو المسماة الجزولية ، وشرح اصول ابن السراج ، والأمالى فى النحو ، ولما كان لايوجد نحوى اخر قبله او بعده له مثل هذا الاسم واللقب فيما اعلم ، وكل ماهناك اثنان من المغاربة لهما نفس اللقب ولكنهما لايمتان للنحو بصلة وليس لهما به اشتغال او تصنيف مطلقا ، وهما عبدالرحمن بن عفان الجزولى ابو زيد المغربى المتوفى سنة ٧٤١هـ ، الذى كان فقيها مالكيا له اشتغال بتدريس الفقه وحده وتصنيف فيه فقط ، ومحمد بن سليمان بن عبدالرحمن الجزولى المغربى المتوفى



سنة ٨٧٠هـ ، وهو فقيه مالكى صوفى له مؤلفات فى التصوف بالعامية ، وله كتاب دلائل الخيرات ، وليس له تصنيف فى غير ذلك على الأطلاق ، ولما كان هذا كله يعنى ان النحوى الوحيد منهم والذى اشتهر بالنحو شهرة شديدة ، هو الأول الذى توفى فى المغرب فى مطلع القرن السابع كما ذكرنا ، وهو فى نفس الوقت زمان ولادة ابن مالك الذى توفى سنة ٦٧٢هـ ، فانه يبدو من كل هذه الحيثيات انه من غير المعقول أن يكون له شرح على ألفية ابن مالك ، وقد كانت وفاته فى الوقت الذى ولد فيه صاحب المتن الذى نسب اليه شرحه ، يؤكد هذا أننا لم نجد له مثل هذا الشرح فيما اطلعنا عليه من كتب التراجم ، ولو كان له لذكر بين مصنفاته بل فى مقدمتها لما له من الأهمية ، ولأنه قد سبق بينها ماهو دونه فى ذلك ، ومن ثم يكون بروكلمان قد وهم فى قوله ، وفات المترجم وكذلك المراجع ـ وكلاهما ومن المشتغلين بالنحو ـ تصحيح ذلك . وهناك شروح اخرى كثيرة لمتأخرين جدا ليست فى أهميتها أكثر من الشروح السابقة،وقد اتجه بعضها الى بحث جوانب خاصة فى الفية ابن مالك ، ومن هذه الشروح : شرح شمس الدين محمد الفارضى ، وتعليقة ابن رسلان على ألفاظ الألفية ، واللوامع الشمسية فى اعراب الخلاصة الألفية لمحمد بن على الحلبى الصالحى ، والمعارضات على ألفية ابن مالك لعبد الودود بن عبدالله بن احمد بن المختار ، والكواكب الدرية فى شرح منظومة الألفية لصالح عبدالصنوع الآبى الأزهرى ، والبديعية فى شرح الألفية لمهدى بن مصطفى النقرشى ، وزينة السالك لمحسن بن محمد طاهر القزوينى وغير ذلك .

وهناك ظاهرة يجدر ذكرها قبل الانتهاء من هذا البحث ، وتعد مزية انفردت بها اهم شروح الفية ابن مالك ، ولم يقع مثل هذه المزية لغيرها من شروح المتون الاخرى الهامة ، ومن شروح الفية ابن مالك العادية ايضا ، وهى كثرة الحواشى والتعليقات على هذه الشروح الأهم ، مما يعطى هذه الشروح منزلة خاصة فضلا عن الأهمية التى تضفيها هذه الحواشى والتعليقات على الألفية نفسها ، ومن ذلك : التعليقات والحواشى

التى صنعت لشرح الدرة المضيئة لابن الناظم كحاشية محمد بن ابى بكر بن جماعة المتوفى ٨١٩هـ ، وحاشية عبد القادر بن ابى القاسم العبادى المكى المتوفى سنة ٨٨٠هـ ، وحاشية الدرة السنية لزكريا الأنصارى المتوفى ٩٢٦ ، وحاشية شهاب الدين احمد بن القاسم العبادى المتوفى سنة ٩٩٤هـ ، وتعليق على الشواهد لأغا سيد محمد بن على الموسوى المتوفى ١٠٩٨هـ .

والتى صنعت لشرح التوضيح لشمس الدين الحسن بن قاسم المرادى المعروف بابن ام قاسم كتعليق محمد بن احمد بن غازى المكناسى المتوفى سنة٩١٨هـ ، وشرح الشواهد لأبى زيد عبد الرحمن بن ادريس المنجرا المتوفى ١١٧٩هـ . والتى صنعت لشرح اوضح المسالك او توضيح ابن هشام الأنصارى كحاشية حفيده شهاب الدين احمد بن عبدالرحمن بن هشام المتوفى ٨٣٥هـ وحاشية التصريح بمضمون التوضيح لخالد بن عبد الله الأزهرى المتوفى سنة ٩٠٥هـ ، وحاشية ناصر الدين محمد اللقانى المتوفى ٩٥٨ه ، وحاشية لأبى بكر بن اسماعيل الشنوانى المتوفى ١٠١٩هـ ، وشرح الشواهد[٩٧] لمحمد ابن عبد القادر الفاسى المتوفى ١٠٩١هـ ، وحاشية محمد الطيب بن عبد المجيد الكرانى المتوفى ١٢٢٧هـ ، وحاشية ابى القاسم على بن ادريس قصاره الحميرى المتوفى سنة ١٢٥٩هـ ، وحاشية كشف الخفاء والغطاء للطالب بن حمدون بن الحاج السلمى المتوفى ١٢٧٤هـ .

والتى صنعت لشرح ابن عقيل كشرح الأبيات لمحمد بن احمد بن محمد غازى العثمانى المكناسى المتوفى ٩١٩هـ ، وحاشية ابن الميلة المتوفى حوالى ١١٠٠هـ ، وحاشية محمد الداودى التى ألفها فى سنة ١١٣٦هـ ، وحاشية القول الجميل لأحمد بن عمر القاهرى الأسقاطى المتوفى ١١٥٩هـ ، وشرح الشواهد[٩٨] لعبد المنعم الجرجاوى المتوفى حوالى سنة ١١٧٥هـ ، وحاشية عطية بن عطية الأجهورى المتوفى ١١٩٤هـ ، وحاشية



احمد بن احمد السجاعى[٩٩] المتوفى ١١٩٧هـ ، وحاشية محمد الخضرى الدمياطى المتوفى ١٢٨٨هـ .

والتى صنعت لشرح المكودى المطرزى كحاشية محمد بن احمد بن محمد بن جلون الفاسى التى أكملها فى سنة ١١١٨هـ ، وحاشية سيدى احمد بن عبدالفتاح المجيرى الملوى المتوفى سنة ١١٨١هـ .

والتى صنعت لشرح الأشمونى كحاشية محمد بن سالم الحفناوى المتوفى ١١٠١هـ ، وحاشية تنوير الحالك لأبى الفتح احمد بن عمر الأسقاطى المتوفى ١١٥٩هـ ، وحاشية حسن بن على المدابغى المتوفى سنة ١١٧٠هـ ، وحاشية زواهر الكواكب لمحمد بن على بن سعيد التونسى المتوفى ١١٩٩هـ ، وحاشية محمد بن على الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦هـ ، وحاشية نصر الهورينى المتوفى ١٢٩١هـ ، وحاشية عليش المتوفى ١٢٩٩هـ .

والتى صنعت لشرح البهجة المرضية للجلال السيوطى كحاشية ياسين بن زين الدين عليم الحمصى العليمى المتوفى ١٠٦١هـ ، وحاشية محمد صالح الاحسائى التى ألفها سنة ١٠٧٣هـ ، وحاشية ميرزا احمد طالب التى ألفها سنة ١٢٢٣هـ.

منزلة ابن مالك ومذهبه النحوى :

كان ابن مالك أمة كاملة فى الاطلاع على النحو وفى التصنيف فيه نثرا ونظما ، وتعكس آثاره الكثيرة سعة اطلاعه على مسائل النحو وقضاياه فى كتب السابقين . وانعامه النظر فيها درسا وتمحيصا . من هنا امتلأت منظوماته وكتبه بحشود من الأصول والفروع النحوية والصرفية التى أحسن ابن مالك عرضها حتى تمكن الافادة منها بسهولة ويسر . ولم يكن يكتفى بمجرد العرض . بل كان يوافق عليها او يخالفها . يؤيدها أو يردُّها . يقويها أو يضعفها . يصححها او يخطئها . يوازن بينها ويجتهد . ويرجح ويختار فى ثقة وتبصر . واقتدار

واعتداد(١٠٠)

ولقد كان لابن مالك منهج متميز فى دراساته النحوية ، وهو منهج المتمسك بالمسموع دون تحفظ . فهو يعول على اللفظة الواحدة تأتى فى القرآن ظاهرها جواز ما يمنع النحاة ، ويحتج بجميع القراءات القرآنية دون النظر الى درجتها . يتمثل ذلك بما كان يراه من جواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف او الجار والمجرور وهو المفعول محتجا له بقراءة ابن عامر ببناء الفعل للمفعول : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم(١٠١) ، قائلا :

فصل مضاف شبه فعل مانصب مفعولا او ظرفا اجز ولم يعب
فصل يمين . واضطرارا وجدا بأجنبى أو بنعت او ندا(١٠٣)

وكان يرى ايضا جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر خلافا للنحاة ويقول فى ذلك :

وسبق حال مابحرف جر قد أبوا . ولا امنعه فقد ورد(١٠٦)

يشير بذلك الى قوله تعالى : « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لايعلمون » ومن معالم منهجه السمعى واتجاهاته النقلية انه كان يحتج بعد القرآن بالحديث مطلقا ، ثم بأشعار العرب ، يقول المغربى عنه « كان اكثر ما يستشهد بالقرآن ، فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث ، وان لم يكن فيه شىء عدل الى اشعار العرب(١٠٧)

مزايا ألفيته والمآخذ عليها :

يقف فى مقدمة مزايا ألفية ابن مالك الكثيرة مزية ترتيب ابوابها وفصولها . وهى مايمكن



تصورها من الاطلاع على ثبت موضوعات الألفية الطويل . وان افضل مايمكن ان نسوقه فى مقام المقارنة والمفاضلة بين هذا الترتيب وبين ترتيب الأبواب والفصول فى سواها من كتب النحو المنثورة والمنظومة هو ماذهب اليه الاستاذ عباس حسن من ان ترتيب ابواب النحو فى الفية ابن مالك هو الترتيب المثالى الذى اقتفاه كثيرون ممن جاءوا بعده . وهو الترتيب الشائع اليوم . وهو فوق شيوعه اكثر ملاءمة فى طريقته . واوفر افادة فى التحصيل والتعليم . وانه يأتى بعده فى المقام ترتيب الزمخشرى[١٠٨] المتوفى سنة ٥٣٨هـ فى مفصله الذى تبعه عليه شراحه . وتبعه فيه ابضا ابن هشام فى مغنيه والذى يعد مناسبا ومفيدا للمتخصصين دون سواهم من الراغبين فى المعرفة العامة اولاً فأولا. وان هناك انواعا اخرى من الترتيب لكل منها مزاياه . ولكنها لاتعدل مزايا ترتيب ابن مالك للأبواب فى الفيته ولا تناسب عصرنا القائم[١٠٩]

ومن المزايا الهامة ليس فى الألفية فقط بل فى سائر كتب ابن مالك ايضا موقفه فى عدد من المسائل[١١٠] التى عدل عن ارائه فيها فى كتاب سابق له الى اراء مخالفة فى كتاب لاحق له مما يمكن ان يتصوره أحد مأخذاً عليه. وعندى أن ذلك لايعد من المآخذ المعيبة بل هو فى حقيقة الأمر من المزايا الحميدة . وتزداد قيمة هذا التغيير فى الراى وفائدته اذا كان قد صدر عن رجل كابن مالك له مثل هذا الانتاج الضخم الذى افرغ فيه جهوده ليسجل لنا النحو نظما مبسوطا فى الكافية الشافية ثم ملخصا نظما كذلك فى الألفية ونثرا فى التسهيل . وهذا يدل فى تقديرى على ان ابن مالك لم يكن متناقضا كما يمكن ان يفهم من تغييره اراءه . بل كان مرنا غير جامد ولا مكابر فى الحق كما ينبغى ان يفهم من ذلك التغيير . وعلى ان نشاطه الاجتهادى كان خلاقا متطورا يحمله على ان يعدل عن بعض ارائه او بعدلها عندما يحصل معلومات اضافية جديدة من خلال مطالعاته المستمرة . او يقوم لديه دليل جديد يحمله على التغيير . ثم ان ابن مالك لم يكن بدعا فى هذا الباب . ولم يكن نسيج وحده فى هذا العدول . فقد حدث هذا قبله وبعده من كثير من أئمة النحو فى مصنفاتهم المتعاقبة . بل لقد رأينا ذلك فى سائر العلوم على النحو الذى كان من الإمام الشافعى مثلا فى مذهبيه القديم

والجديد . على كل حال يمكن فيما يخص ابن مالك اعتبار ما استقر عليه فى التسهيل رايه الأخير . لأنه خاتمة كتبه الثلاثة الهامة تصنيفا . وهو يحوى خلاصة ماوصل اليه من المعرفة واخر مااستقر عليه من الراى . وهذا مايوحى به ويدل عليه تسميته له بتكميل المقاصد الى جانب كونه كما سماه ايضا تسهيلا للفوائد . وقد جرى على هذه الصناعة شراح كتبه . فهذا الأشمونى مثلا يقرر ذلك بقوله : الرأى أو الوجه مابراه فى التسهيل . وبما يفيد ان رأى ابن مالك فى التسهيل هو الأصح او الاقرب او الأقل تكلفا . ونحو ذلك(١١١) كما يمكن القول فى نفس الوقت بان أراءه فى منظومة الألفية هى على الأقل بمثابة النظرة الأخيرة فى ارائه فى منظومة الكافية الشافية التى سبقتها وكانت بمثابة مصدر رئيسى لها وبمثابة الموقف النهائى منها .

ولكن على الرغم من مزايا الألفية الكثيرة فانه يؤخذ على ناظمها انه اغفل تضمينها ابيانا مستقلة مجتمعة فى تصريف الأفعال . واكتفى باجمال القول فيه هنا وهناك . ولعله فعل ذلك اكتفاء بلاميته الشهيرة التى نظمها خصيصا لذلك وسماها لامية الأفعال .

وقد دأب ابو حيان الأندلسى على وجه الخصوص على الاكثار من انتقاد ابن مالك والهجوم عليه بل التهجم عليه والحط من شأن بعض مصنفاته والحرص على اظهار عيوبها . فقد عاب عليه شخصيا انه لم يصحب من له البراعة من الشيوخ . وليس له شيخ مشهور يعتمد عليه ويرجع فى حل المشكلات اليه . وانه لذلك ضعيف الاستنباط والتعصب على اهل هذا الشان . نفور من المنازعة والمباحثة والمراجعة . وانتقد أرجوزته الألفية بقوله « ولعله ماعرض فى هذه الأرجوزة ماعرض . حتى قام بجوهرها العرض . الا لضيق مجال الشعر وامتيازه بالكلفة دون النثر . فربما يضطر الناظم القافية والوزن . حتى يترك السهل ويسلك الحزن ويعبر عن المعنى القريب باللفظ البعيد . وعن الحقيقة السلسة بمجاز التعقيد . والا فما احتوت عليه من السهو . واشتملت به من الحشو بأبى ان يكون صادرا عن بادئ فى النحو . بله اماما تضوع برياه المجالس . ويبأى برؤياه المجالس . وما حدانى ـ يعلم الله ـ على



الكلام فى هذه الارجوزة الا النصيحة فى الدين وايصال الخير لقلوب المهتدين . فانه قد ينقل الانسان فيها حكما فاسدا يظن انه صحيح . ومرجوحا يعتقد انه هو ترجيح . فيبنى عليه فهما فى كتاب الله والسنة النبوية . فيضل بذلك عن المحجة البيضاء والسبيل السوية ولا سيما مبتلى ألقى فى روعه تعظيم هذه الألفية . وانها بمقاصد النحو وفية . وقد اخذ تعظيمها عمن يزهى بحل شىء من مشكلها . ويبجح بالتصدى الى بين معضلها . ويوهم الأغمار انه معانى معانيها وبانى مبانيها . وما هذه الأرجوزة . ان هى الا كنقبة من دماء ونربة فى بيهاء . ومعذور من يقول بتفضيلها ويصول بتحصيلها . فانا فى زمان يستنسر . وحماه يستنحجر . اللهم غفرا »(١١٣)

ومن الواضح ان اباحيان قد اكثر فى هذا النص الطويل من التحامل على ابن مالك وعلى ارجوزته حتى خرج عن القصد . وكان خروجه عنه كثيرا يتناسب طردا مع درجة تحامله العالية عليه . ولا يقلل من ذلك وصفه له فى نفس النص بانه الامام الذى « تضوع برياه المجالس . ويأى برؤياه المجالس » فهو قد فعل ذلك فى مقام يذهب بمغزى هذه المدحة حين وضعها بعد مايستحقه البادئ فى النحو من اللوم على سهوه وحشوه مما لايخفى مغزاه وقبل تبرير نقده لهذه الأرجوزة « بالنصيحة فى الدين وايصال الخير لقلوب المهتدين » هذا بالاضافة الى ابغاله فى كل جوانب النص الأخرى فى التجنى على علم ابن مالك ، والى اسرافه فى التهجم على ارجوزته الألفية .

والغريب ان يكون هذا راى ابى حيان فى علم ابن مالك بعامة وفى ارجوزته بخاصة ثم يكون على نقيض هذا الراى تماما حين يثنى ثناء مستطابا على تسهيله . وبعد من فهم مافيه أنحى الناس طرا كما سبق ان ذكرنا . ولقد اضعف من هجوم ابى حيان ايضا عدم موضوعيته كثيرا . وميله الى ان يكون تهجما شخصيا مال به عن الطريق السوى اكثر منه نقدا علميا هادفا مقنعا .

عندى أن ماكان من أبى حيان ازاء ابن مالك وبحاء منظومته الألفية خاصة مرده والله

اعلم الى ان ابا حيان ربما كان يرى سقطات العالم حتى لو قلت هى ابلغ واخطر من سقطات غيره حتى لو كثرت . وانه لذلك يخصه بالنقد والهجوم بل بالمزيد منها.هذا اذا برأنا ابا حيان من الهوى والغرض . ونسى ابو حيان او تناسى ان الغلط والسهو والنسيان لابد منها عند العالم وعند غيره . وانه هو نفسه لم يبرأ منها وليس بمستطيع ذلك اذا شاء حتى يطالب غيره بالبرء منها ويهاجمه اذا وقع فيها او فى بعضها .

وربما كان مرد موقف ابى حيان هذا الى الحسد او المنافسة . وذلك بصرف النظر عن حدث اللقاء بينهما او عدم حدوثه . فقد يحسد الانسان او ينافس من لم يره . سواء أكان معاصرا له او قريبا من عصره . ويكفى ان يكون قد راى مصنفاته واحس بقيمتها وعرف اشتهارها وادرك علو كعب صاحبها ومنزلته فى العلم .

وربما كان سبب هذا الموقف المعاصرة بين ابن مالك وابى حيان وهى حجاب كما يقال . او عدم تعصب ابن مالك للبصريين وحدهم كما اعتاد ابو حيان ان يفعل . او كل ما أسلفنا مجتمعا . او غير ذلك من الأسباب .

على كل حال . وكما تمليه طبائع الأمور . فقد جرى القضاء امام كل هجوم غير عادل ان يقيض الله ردا له مدافعا عمن وجه اليه . وهذا ماحدث هنا . فلقد وجدنا نحويا مرموقا فى زمانه . يتصدى للدفاع عن ابن مالك ودفع مارماه به ابو حيان . دفاعا مجيدا تحفظه له الأسفار . هذا النحوى هو ناظر الجيش المتوفى سنة ٧٧٨هـ الذى أطنب فى اطراء مزايا ابن مالك وفى امتداح مصنفاته جميعا امتداحا لم يلبث ان استمر يتنامى على كل لسان عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل . ولاسيما الكافية الشافية والخلاصة . والتسهيل . التى اختصت بالثناء المستطاب . واصبحت المرجع المفضل للدارسين . والأساس المكين الذى قامت عليه وتاثرت به واقتبست منه الدراسات النحوية التالية حتى يومنا هذا .





مصادرها المنظومة ومدى تأثرها بهذه المصادر :

تعد الكافية الشافية اولى مصادر الألفية . فقد سارت الألفية على خطاها فى المنهج والمحتوى . وكانت خلاصة لها على حد قول ابن مالك نفسه فى خاتمتها : احصى من الكافية الخلاصة .

ولما كانت الألفية اختصارا لها كما قال الناظم . فانه من الطبيعى ان يسير فى ترتيب ابوابها وفصولها ومسائلها سيرته فى ترتيب الأبواب والفصول والمسائل فى الكافية الشافية غالبا . وان كان قد خالف الترتيب فيها فى مصنفات له لاحقة . على نحو ماحدث منه مثلا عندما لم يبوب لحبذا ولا حبذا فى الكافية الشافية وفى الخلاصة . وذكرهما فيهما ضمن باب نعم وبئس وماجرى مجراهما . وبوب لهاتين على وجه الاستقلال فى التسهيل .

كذلك من الطبيعى ان تكون الترجمة لهذه الأبواب والفصول متماثلة فى كل منهما . ولكنها قد تختلف فى مصنفاته الاخرى عنها فيها . فقد لوحظ مثلا انه قدم فى ترجمة باب النكرة والمعرفة فى الكافية الشافية وفى الخلاصة النكرة على المعرفة . وهذا امر له وجاهته . إذ من المعروف ان النكرة هى الأصل . إذ لاتوجد معرفة إلاّ وله اسم نكرة . فاقتضى ذلك بالضرورة تقديمها فى الترجمة . ولكنه عكس الأمر وقدم المعرفة على النكرة فى التسهيل دون تعليل .

ومن الطبيعى ايضا لنفس السبب ان تتميز الخلاصة الالفية بايجاز القول . ولكن مع الاشتمال على اهم الاحكام النحوية . وقد عبر ابن مالك عن هذا فى مقدمتها فقال :

وأستعين الله فى ألفيه مقاصد النحو بها محوية
تقرب الأقصى بلفظ موجز وتبسط البذل بوعد منجز



وفى خاتمتها فقال :

وما بجمعه عُنيتُ قد كَملَ نظماً على جلّ المهمّات أشتملْ
أحصى من الكافية الخلاصة كما أقتضى غنى بلا خُصاصه

وذلك خلافاً للكافية الشافية التى وقعت فى نحو ضعفى الخلاصة ، فقد كانت متميزة ببسط القول فضلا عن أشتمالها على معظم مسائل الفنّ كما قال أبن مالك :

نمعظم الفنّ بها مضبوط والقول فى ابوابها مبسوط

وكان مّما أعتمدت عليه الفية ابن مالك ايضا وتأثرت به فى بعض مادتها وتقسيماتها منظومة «ملحة الاعراب وسنخة الآداب» للحريرى المتوفى ٥١٦هـ . وكان كأبن مالك بصرى الميول والاتجاهات . ومع وضوح هذا التأثرّ والاعتماد وظهورهما فى الفية أبن مالك فانه لم يرد فيهاذكر صريح للملحة كمصدر من مصادرها ، ولكن لاينبغى ان يكون هذا التأثر والاعتماد محل شك لهذا السبب ، وبسبب الشعور ايضا بان الالفية كانت اوسع من الملحة واكثر تفصيلا واغزر مادة وأسد فى تحقيق الغرض . فى حين ان الملحة كانت لاتزيد على ثلاثمائة وسبعة وسبعين بيتا ، وتحت وطأة الشعور كذلك بان الخلاصة نالت الشهرة واحتلت المكانة الاولى وغطت بذلك على كل ماعداها مما سبقها كالملحة والحقها كسائر المنظومات النحوية مّما لايعقل معه ان تكون قد قبست من الملحة الموجزة الصغيرة المغمورة ، فمن الظاهر بالاستقراء تأثر خلاصة ابن مالك الالفية بملحة الحريرى كأوضح مايكون التأثر فى تقسيم بعض ابوابها وترتيبها ، وان تكن ابواب الخلاصة كما لايسعنا الا الاقرار أوفى وأغزر والصرف فيها أوسع واكثر . ولكن الملحة تبقى مع ذلك رائدة متقدمة فى ميدان النظم النحوى المطول وفى وضع حجر الاساس لابواب النحو وتقسيماته وترتيب كل ذلك ترتيبا علميا سليما لم يلبث أن اقتدى



به كل من جاء بعد ذلك من الناظمين فى منظوماتهم . وفى مقدمتهم ابن معطى فى الفيته . ثم ابن مالك فى الفيته . وكذلك غيرهما فيا نظموا . فنحن نجد فى كل ماجاء بعد الملحة من المنظومات ما وجدناه فى الملحة من مقدمة . ثم من بداية تقليدية بباب الكلام . ثم من توالى ابواب النحو والصرف على نحو متشابه أو متقارب . ثم من خاتمة مناسبة قصيرة فى النهاية .

ولكننا رأينا اختلافا بين الألفية بالذات وبين الملحة فى اسماء بعض الأبواب . وفى ترتيب بعضها الاخر وتبويبه . وفى غير ذلك من الامور فقد ذكر الحريرى مثلا باب مالم يسم فاعله . ولكن ابن مالك سماه باب النائب عن الفاعل . وعقد ابن مالك بابا مستقلا للتنازع فى العمل واهمل الحريرى هذا الموضوع تماما . وفصل الحريرى بين بابى حروف الجر والاضافة بباب القسم . ووالى ابن مالك بين البابين بدون فاصل . وأورد الحريرى بابا مستقلا للمضاف جعله بعد باب الاضافة فى حين أدمجها ابن مالك معا فى باب واحد هو باب الاضافة ووضع الحريرى باب جمع التكسير بين موضوعات النحو فى أوائل أبواب ملحته فى حين راعى ابن مالك طبيعة الباب الصرفية فوضعه بين موضوعات الصرف التى جمعها فى أواخر ألفيته . وأقحم ابن مالك فى الفيته بابا فى الصرف هو باب ابنية المصادر بين ابواب النحو فى حين عقد الحريرى بابا للمصدر بين ابواب المفاعيل الاخرى وذكر فيه أنه أصل الاشتقاق على مايقول به البصريون ثم تحدث فيه عن احوال المفعول المطلق ولم يتعرض لابنيته وأوزانه الصرفية على نحو ما فعل ابن مالك فكان حديثه فيه حديث نحو لا صرف فيه .

ومن مظاهر الاختلاف الواضحة ايضا بين المنظومتين اختلافها فى حجم الابواب وفى كمية الابيات التى يتضمنها كل باب منها . فقد عبر ابن مالك عن معان واحكام كثيرة بأبيات تماثلها فى الكثرة فى حين صاغ الحريرى معانيه واحكامه الاقل بأبيات قليلة من هنا جاءت الالفية فى اكثر من ضعف الملحة الى غير ذلك من وجود الاختلاف بين الارجوزتين .

اما المقدمة والخاتمة والباب الاول فى كل من الملحة والألفية فقد تشابهت فى انها وضعت فى

مواضعها الطبيعية فى كل منها ، ولكن مع اختلاف بينهما فى الباب الاول بالذات يسير فى اسمه كبير فى تبويبه ، فقد سماه صاحب الملحة اسما مختلفا قليلا عن اسمه فى الالفية وهو (باب الكلام) ولكنه اورد احكامه التفصيلية فى ثلاثة ابواب متعاقبة منفصلة سمّاهـا على التوالى باب الاسم فباب الفعل فباب الحرف ، أمّا ابن مالك فقد جعل هذه الابواب الاربعة باباً واحدا متحدا اطلق عليه (باب الكلام ومايتألف منه) ثم انتقل من هذا الباب الى غيره من الابواب والفصول الاخرى ، فتحدث عن المعرب والمبنى ، فالنكرة والمعرفة فالعلم فاسم الاشارة ، فالموصول ، فالمعرف بأداة التعريف ، فالابتداء فكان وأخواتها فما ولاولات وإن المشبهات بليس ، فأفعال المقاربة ، فانّ وأخواتها ، فلا التى لنفى الجنس ، فظنّ واخواتها ، فأعلم وأرى ، فالفاعل فالنائب عن الفاعل ، فأشتغال العامل عن المعمول ، فتعدى الفعل ولزومه ، فالتنازع فى العمل ، فالمفعول المطلق ، فالمفعول له ، فالمفعول فيه ، فالمفعول معه ، فالاستثناء فالحال ، فالتمييز ، فحروف الجر ، فالاضافة ، فالمضاف الى ياء المتكلم ، فاعمال المصدر ، فاعمال اسم الفاعل ، فأبنية المصادر ، فأبنية اسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة بها ، فالصفة المشبهة باسم الفاعل ، فالتعجب ، فنعم وبئس وما جرى مجراهما ، فأفعل التفضيل ، فالنعت ، فالتوكيد ، فالعطف ، فعطف النسـق ، فالبـدل ، فالنـداء ، فالمنادى المضاف الى ياء المتكلم ، فأسماء لازمت النداء ، فالاستغاثة ، فالندبة ، فالترخيم ، فالاختصاص ، فالتحذير والاغـراء ، فأسماء الأفعـال والاصـوات ، فنونـا التـوكيد ، فما لاينصرف ، فاعراب الفعل ، فعوامل الجزم ، ففصل لو ، فأما ولولا ولوما ، فالاخبار بالذى والألف واللام ، فالعدد ، فكم وكأين وكذا ، فالحكاية ، فالتأنيث ، فالمقصـور والممـدود ، فكيفية تثنية المقصور والممدود وجمعهما تصحيحا ، فجمع التكسير ، فالتصغير ، فالنسب ، فالوقف ، فالامالة ، فالتصريف ، فزيادة همزة الوصل ، فالابدال ، ففصول قصيرة متوالية فى الصرف بدون عنوان ، فالادغام .

فى حين انتقل الحريرى من الابواب الاولى وهى باب الكلام فباب الاسم فباب الفعل



فباب الحرف ، الى باب النكرة والمعرفة فباب التعريف فباب قسمة الافعال ، فباب الأمر ، فباب الفعل المضارع ، فباب الاعراب ، فباب التنوين ، فباب الاسماء التى ترفع بالواو وتسمّى المعتلة ، فباب حروف العلة ، فباب اعراب الاسم المنقوص ، فباب المقصور من الاسماء ، فباب التثنية ، فباب جمع التصحيح ، فباب جمع المؤنث السالم ، فباب جمع التكسير فباب حروف الجرّ ، فباب القسم ، فباب الاضافة . فباب المضاف ، فباب كم الخبرية ، فباب المبتدأ ، فباب اشتغال الفعل بما يلحقه من الضمائر ، فباب الفاعل ، فباب مالم يسم فاعله ، فباب المفعول له ، فباب ظننت وأخواتها ، فباب عمل اسم الفاعل المنون ، فباب المصدر ، فباب المفعول له ، فباب المفعول معه ، فباب الحال ، فباب التمييز ، فباب نعم وبئس ، فباب حبذا ، فباب كم الاستفهامية فباب الظرف ، فباب الاستثناء ، فباب لاى النفى ، فباب التعجب ، فباب الاغراء ، فباب التحذير ، فباب إنّ وأخواتها ، فباب كان وأخواتها ، فباب ما النافية الحجازية ، فباب التوابع ، فباب ما لاينصرف ، فباب العدد ، فباب نواصب الأفعال ، فباب الحذف ، فباب الجوازم ، فباب البناء .

وقد اتبع الحريرى وابن مالك كلاهما فى عرض موضوعات منظومتيهما الطريقة التقريرية فى ذكر القواعد والابنية والتمثيل لها ، مع تفاوت بينهما فى التفصيل ، يتضح ذلك على سبيل المثال فى قول الحريرى فى الملحة فى باب كان وأخواتها :

كان وما أنفك الفتى ولم يزل ... وعكس إنّ يا أخى فى العمل
وظل ثم بات ثم أضحي ... وهكذا أصبح ثم أمسى

وما فتئ فافقه بيانى المتضح ... وصار ثم ليس ثم مابرح
وأحذر هديت ان تزيغ عنها ... وأختها مادام فاحفظنها

ولم يزل أبو على غانبا ... تقول قد كان الامير راكبا
وبات زيد ساهرا لم ينم ... واصبح البرد شديدا فأعلم

ومن يرد ان يجعل الاخبارا   مقدمات فليقل ما اختارا
مثاله قد كان سمحا وائل   وواقفا بالباب أضحى السائل
وإن تقل ياقوم قد كان المطر   فلست تحتاج لها الى خبر
وهكذا يصنع كل من نفث   بها اذا جاءت ومعناها حدث
والباء تختصّ بليس فى الخبر   كقولهم ليس الفتى بالمحتقر

وفى قول ابن مالك فى نفس الباب فى الفيته :

ترفع كان المبتدأ اسما والخبر   تنصبه ككان سيداً عمر
ككان ظلّ بات اضحى اصبحا   أمسى وصار ليس زال برحا
فتىء وآنفك وهذى الاربعة   لشبه نفى أو لنفى متبعه
ومثل كان دام مسبوقاً بما   كأعط مادمت مصيبا درهما
وغير ماض مثله قد عملا   إن كان غير الماضى منه استعملا
وفى جميعها توسّط الخبر   أجز وكل سبقه دام حظر
كذاك سبق خبر ما النافيه   فجىء بها متلوّة لاتاليه
ومنع سبق خبر ليس اصطفى   وذو تمام مابرفع يكتفي
وماسواه ناقص والنقص فى   فتىءليس زال دائما قفى
ولايلى العامل معمول الخبر   إلا اذا ظرفا اتى او حرف جر
ومضمر الشأن اسما انو إن وقع   موهم ما استبان انه امتنع
وقد تزاد كان فى حشو كما   كان اصح علم من تقدّما
ويحذفونها ويبقون الخبر   وبعد ان ولو كثيراً ذا آشتهر
وبعد ان تعويض ما عنها آرتكب   كمثل أمّا أنت براً فاقترب
ومن مضارع لكان منجزم   تحذف نون وهو حذف ما التزم



وفى هذين النصين ايضا دلالة واضحة على تأثير السابق وتأثر اللاحق فى ايراد جملة احكام الباب الاصلية وأن اختلف بينهما التعبير والتمثيل والترتيب . وزاد عند ابـن مالك عدد الاحكام . وربما على ابن معطى فى التفصيل .

وأنى اظن ان احدا لايمكنه ـ وهو يرى ما عليه الفية ابن مالك وبقية منظوماته وكتبه من غزارة فى المعلومات النحوية والصرفية . ومن دقة وشمول فى عرض آراء كبار النحويين . ومن وضوح وتفصيل فى الحديث عنها ـ الشك فى ان كتب النحاة من البصريين وغيرهم ابتداء من كتاب سيبويه وانتهاء بمؤلفات النابهين من معاصريه . كانت ايضا الى جانب ماذكرناه من مصادره المنظومة مصادر اغترف منها ما اغترفه من علم كثير اودعه منظومته الالفية وسائر مصنفاته الاخرى . فمعارفه الواسعة التي تبدو جلية فى كل تواليفه ليست فى الحقيقة الا حصيلة لدراساته فى الاصول والفروع التى تضمنتها كتب من سبقوه ومن عاصروه . ونتاجاً لتمثله لكل مادرسه تمثلا عميقا .

وهناك مصدر هام من المصادر المنظومة لالفية ابن مالك وهو الفية ابن معطى ونحن نؤثر الكلام عن هذا المصدر بشكل مفصل فى حديث مستقل حين نعرض فيما يلي مقارنة بين الألفيتين وذلك لاهمية هذا المصدر واحقيته من اجل هذا بالتفصيل والاستقلال . بدلا من ان نتحدث عنه الآن فى ختام حديثنا عن مصادر الفية ابن مالك المنظومة على النحو الموجز الذى تحدثنا فيه عن هذه المصادر .

ألفية ابن معطى وألفية ابن مالك فى الميزان :

تعدّ الفية ابن معطى ايضاً من المصادر المنظومـة لالفية ابـن مالك . ولكافيتـه الشافية كذلك . بل ربما كانت اهم مصادرها على الاطلاق . فمن الثابت ان ابن مالك نظر فى الفية ابن معطى وأقرأها لتلاميذه . جاء فى الدرر ان احمد بن عبد الرحيم بن

شعبان الدمشقى الحنفى ابن النحاس قرأ الفية ابن معطى على ابن مالك(١١٥)

ثم إنّ ابن مالك ذكرها صراحة حين فضّل ألفيته عليها بقوله :

وتقتضى رضــاً بغــير سُخط فائقــة ألفية ابــن معطى

وكانت الفية ابن معطى آنذاك ملء الاسماع والابصار قد شاع ذكرها وأعتبرت أهم المنظومات النحوية وأقواها . قال ابن الخباز فى ختام شرحه لالفية ابن معطى (حدثنى من أثق به أنه أخبره بأنى أشْغَلُ الناسَ فى أرجوزته) وقال ابن الوردى فى ديباجة شرح هذه الالفية (وهى شاهدة لناظمها باصابة الصواب والتفنّن فى الاداب ، حتى كأنّ سيبويه ذا الاعراب قاله له : يا يحيى خذ الكتاب ، وهذا يؤكد انها اسماً وجسماً أضحت الصورة التى تأثر بها ابن مالك حين انشأ ينظم الفيته فنظمها على نسقها وقيدها بنفس قيدها الذى قيدها به ابن معطى . فقد قيد ابن معطى درته بقيد الالفية . وحذا ابن مالك حذوه فقيد خلاصته بنفس هذا القيد . وفعل العلماء بعدهما نفس الشيء فى تسمية منظوماتهم المطولة ولكن ابن مالك كيف تأثره فى المحتوى واخضعه لذوقه وتفكيره وتجاربه وأجتهاده وفى اعتقادى ان شهرة الفية ابن معطى وانشغال الناس بها بعد ان السبب المباشر الذى دفع ابن مالك الى منافستها وبذل الجهد للتفوق عليها . وإلى اختصار كافيته الشافية فى نظم جديد يحوى خلاصتها

ليدنو بهذا الاختصار من عدد درّة ابن معطى وليبزّها دون أن يعاب بما فى الكافية الشافية من طول يزيد كثيراً عن طول الفية ابن معطى نفسها لوجرت المقارنة بينهما ومن معالم تأثر ابن مالك بأبن معطى انّ ابن مالك نهج نهجه وقلده فى منهجه العام حين أودع مثله فى أبواب ألفيته وفصولها جمهرة اصول المسائل ، ونبتاً من اهم الفروع الخلافية مع بيان وجوه الخلاف بايجاز اقتضاء تحكم النظم . وحين عمد ايضاً الى ترتيب ابوابه وفصوله وأصوله وفروعه ـ على النحو الذى فعله ابن معطى تقريبا ـ فى منهج دراسى تعليمى سليم يعتمد على سرد القواعد



والتمثيل لها واستخدام المناسبة وربط اللاحق بالسابق ونحو ذلك . كذلك اشبه ابن مالك ابن معطى فى تضمين كل منها لأبيات الفيته بعض الشواهد النحوية المطلوبة مع دمجها فى صلب النظم ، وإن كان ابن مالك لم يفعل ذلك فى الالفية بالمقدار الذى فعله ابن معطى فى الدرّة ، ومن ذلك القليل عند أبن مالك الرجز الذى ساقه فى باب المفعول له :

لا أقعد الجبن عن الهيجاء ولو توالت زمر الأعداء

أمّا أمثلة ذلك فى الفية أبن معطى فهى كثيرة . فقد قال فى باب اسم الفعل مثلا :

وها وحيهلْ وبَلْهَ الشعرا وهات زيداً وتراك عَمْرا
فى شعرهم قد وردت فحاكِها تراكها من إبل تراكها
مناعها من إبل مناعها وقيل يحُتَاج الى سماعها

فأورد فى هذه الابيات (تراكها من إبل تراكها) و (مناعها من إبل مناعها) وكلاهما شاهد معروف ، تتمة الأول منها (اما ترى الموت لدى اوراكها) وتتمة الثانى منها (ألا ترى الموت لدى ارباعها) (١١٦)

وضمّن أبن معطى أيضاً الكلام على ربّ . قول رؤبة (وقاتم الاعماق) قال ابن معطى

وربّ إن كُفت بما كر بَما صارت كمثل إنما وقلَّما
فيقعُ الفعل والاسم بعدها وأضمروا فى الشعر رب وحدها
وحيثما لها دليل باقى كقوله وقاتم الأعماق



والشاهد بتمامه (وقاتم الاعماق خاوى المخترقن مشتبه الأعلام لماع الخفقن) وأدمج ابن معطى كذلك فى نظمه فى باب الحال ثلاثة شواهد . والثانى منها جزء من آية من القرآن الكريم وهو (هو الحق مصدقا لما) والأول والثالث جزءان من بيتين من الشعر وهما (لمى موحشاً طلل) و (ارسلها العراكا) قال ابن معطى :

وحال ما نُكر قبله يحل كقوله : لمى موحشاً طللْ
والحالُ قد تكون تأكيداً كما قال : هو الحق مصدقاً لما
وقد تكون الحال طوراً معرفة فى حكم تنكير ومشتق صفه
كقوله : ارسلها العراكا وجُهده ووحده أتاكا

أما الآية بأكملها فهى قوله تعالى (والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير)[118] اما الشاهد الاول فهو لكثير وهو بتمامه

لمية موحشاً طلل يلوح كأنه خِلَل [119]

وأما الشاهد الثالث فهو للبيد وهو بتمامه :

فأرسلها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نَغَص الدِّخال

وساق ابن معطى ايضاً أثناء كلامه على اعمال ما عمل ليس جزأين من أيتين من القرآن الكريم . قال :

يشهد للحجاز فى لغاتهم مقالة : ما هنَ أمهاتهم
ومن عدا أهل الحجاز رفعوا خبر ما إلا الذين سمعُوا
النصب فى القرآن فيما ذُكرا ومنه فى يوسف : هذا بشرا



أما الأول فهو جزء من قوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهنّ امهاتهم إن أمهاتهم الا اللائى ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور) [١٢٠]
اما الثانى فهو جزء من الآية (فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهنّ متكأ وآتت كل واحدةٍ منهنّ سكيناً وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنهُ وقطعْن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم [١٢١])

وضمّن ابن معطى أيضاً كلامه عن التثنية بيتاً لعنتره . قال ابن معطى :

وكل مقصـــور ثلاثـــى البنا فيهـــا [١٢٢] برد أصلـــه تعينا
فقـــل بواو عصـــوان كالقنا وقـــل بياء رحيان كالفتى
وان يزد فالياء لاتحول والياء فى المنقـــوص لاتزول
تقـــول قاضيان أعليان وشـــذّ فى المقصـــور مذروان
أخـــولى تنفُضُ استُـــك مِذْرَوَيْهَا لتقتلنـــى فهـــا أنـــا ذا عُمَارَا

ومما يدلّ ايضاً على أنّ درة ابن معطى كانت من مصادر خلاصة ابن مالك ، ما نلاحظه كثيراً من مظاهر التشابه بين الألفيتين . وهى مظاهر تدلّ على تأثر ابن مالك بابن معطى تأثراً قوياً . ومن هذه المظاهر ما كان من تماثل بعض القوافى . او تشابه بعض الألفاظ والتراكيب فى كلتا الارجوزتين . مما يشير الى شىء من الاقتباس أو الاقتداء أو نحو ذلك . قال ابن معطى مثلا تحت العنوان الذى جعله للتوابع :

القـــولُ فى توابـــع الكلـــم الأوّلْ نعـــت وتـــأكيد وعـــطف وبَدَلْ

وقد عبر ابن مالك عن هذا بقوله :

يتبـــعْ فى الاعـــراب الأسماء الأُول نعـــتٌ وتـــوكيد وعـــطف وبدلْ

وقال ابن معطى ايضاً فى باب العطف :

والعـطف عطفـان بيانٌ ونسق عطفُ البيان شِبْـهُ نعـتٍ قد سَبَق

وقال ابن معطى كذلك فى باب المبتدأ أو الخبر :

وإن تشـأ رفعـت فعـل الفاعل ومثلـه أمقصر عواذلى
فمقصر مبتـدأ وأغنى فاعِلُـهُ عن خبـر فى المعنى

وأوجز ابن مالك نفس المعنى فى بيت واحد بألفاظ مقاربة وتمثيل مشابه فقال :

وأوّل مبتـدأ والثانى فاعـل أغنـى فى أسـارٍ ذان

ومما يدلّ كذلك علىّ أنّ ألفية ابن معطى كانت احد مصادر ألفية ابن مالك الهامة مالوحظ من اقتداء ابن مالك بابن معطى حين الكلام على المقصور والمنقوص ، فقد تابعه فى تقديم الكلام عن المقصور على الكلام عن المنقوص خلافا للمشهور فى كتب النحاة قبلها من البدء بالمنقوص وجعل المقصور (١٢٣) تاليا له . فقد خالفا هذا المعهود على التوالى . ثم اقتدى بها اكثر من جاء بعدهما من أهل التصنيف النحوىّ . قال ابن معطى مقدماً المقصور فى الفيته :

وإن يكن آخـره معتلا بألف نحـو الفتـى وحبلى
سُمـى مقصـوراً به تُقدر الحـركات كلّهـا لا تظهر
وان يكن ياء وكسرٌ قبله سُمـى منقوصـا لنقص حَلّه
نحـو الشَجـى والنصـبُ فيه يظهر والرفـع كالجربـه يقدّر



ثم فعل ابن مالك نفس الشيء فقال في باب المعرب والمبنى :

وسِمْ معتـــلا من الاسماء ما كالمصطفـــى والمرتقـــى مكارما
فالأول الاعـــراب فيه قدرا جميعـــه وهـــو الـــذى قد قُصرا
والثـــان منقـــوص ونصبـــه ظَهَر ورفعـــه ينـــوى كذا ايضـــاً يجر

وقد علّل ابن اياز لما فعله ابن معطى . وتابعه عليه ابن مالك . ثم من بعدهما ، بان المقصور أذهب في الاعتلال من المنقوص . لأنّ المنقوص تحرك ياؤه في النصب ، وقد تضم ياؤه في الرفع ، وتكسر في الجر في الشعر . والمقصور يستحيل ذلك فيه [١٢٤] ولقد كان من الطبيعى ان تكون الفية ابن مالك قد اعتمدت - فيما اعتمدت عليه - على الفية ابن معطى فبالاضافة الى ما سبق من الدوال فقد تشابه الناظمان ايضاً في اتجاههما البصرى في جمهرة مسائلها فيها ، وفي انّ ايا منهما لم يكن متعصبا للبصريين يقف الى جانبهم دائما . بل كانا يأخذان احيانا بآراء الكوفيين ، أو بآراء غيرهم او ينفردان بآراء خاصة [١٢٥] وهذا التشابه في الموقف يتيح في الحقيقة للاحق ان يتأثر بآثار السابق تأثرا واسعا ولكن ذلك التأثر لايعنى التطابق بحال فقد كان ابن مالك يخالف في نفس الوقت في بعض اختياراته اختيارات ابن معطى من ذلك على سبيل المثال ان ابن معطى انّث ضمير الكلم في الفيته فقال :

تأليفـــه من كلـــم واحدها كلمـــة أقسامهـــا أحدها

وهذا جائز . ولكن التذكير اكثر . وهو ما اختاره ابن مالك حين قال في خلاصته :
واحـــده كلمـــة والقـــول عمّ وكلمـــة بهـــا كلام قد يؤم
ويتضح ايضا تأثر ابن مالك في خلاصته بابن معطى في درته بالنظر في نصين لهما في موضوع واحد ، والموازنة بينهما . يقول ابن معطى عن التثنية :

القــول فى التثنية اللفظية الــواو للعــطف بهــا منويه
لأنهما أسمان بلفــظ واحد فان تثــن خالــداً مع خالد
فى الرفــع قلــت خالــدان بالألف والنــون كالتنــوين فاحــذف إن تضف
والنصــب كالجـرّ بياء ساكنه وقبلهــا الفتحــة فيهــا بائنه
وكل مقصــور ثلاثــىّ البنا فيهــا برذ أصلــه تعينا
فقــل بواو عصــوان كالقنا وقــل بياء رحيان كالفتى
وإن يزد فالياء لاتحول والياء فى المنقــوص لاتزول
تقــول قاضيان أعليان وشــذّ فى المقصــور مذروان
أحــوْلِي تنفُضُ استُــكَ مِذْرَوَيهْا لتقتلنــى فهــا أنــا ذا عُمَارا
مثــل شذوذ قولهــم أليان فحذفــوا التــاء كذا خصيان
وأردد الى الــواو أبــاً وإخوته وفى دم وبابــه لن تثبته
والهمــز إن يزدد فواواً يبدل وإن يكن أصــلا فهمــزاً يجعل
تقــول فى الأصلى قرّ اءان بالهمــز، والمزيد حمروان

وقد عبّر ابن مالك عن المراد بهذا النص المجتمع المتكامل المطوّل بنصوص متعددة قصيرة متفرقة هنا وهناك فى خلاصته . فقد أورد فى باب المعرب والمبنى مثلا الأحكام الاعرابية للمثنى وما ألحق به فقال :

بالألف أرفــع المثنــى وكلا إذا بمضمــر مضافــاً وصلا
كلتــا كذاك اثنــان وأثنتان كابنــين وأبنتــين يجريان
وتخلف اليا فى جميعهــا الألف جراً ونصبــاً بعــد فتــح قد ألف





كذلك عقد باباً بين فيه كيفيه تثنية المقصور والممدود فقال :

أخـر مقصـور تثنـى أجعلـه يا　　إن كان عن ثلاثـة مرتقيا
كذا الـذى اليا أصلـه نحـو الفتى　　والجامـد الـذى أميل كمتى
فى غـير ذا تقلـب واواً الألف　　وأولِهَـا ماكان قبـل قد أُلِفْ
وماكصحـراء بواوٍ ثنيا　　ونحـو علبـاء كسـاءٍ وحَيَا
بواو أوهمـز وغـير ماذكر　　صحـح وماشـذَّ على نقـل قُصِر

وتحدث ابن مالك ايضا عن تثنية المنقوص وغيره من الاسماء بما لايخرج او يزيد كثيرا عما ذكره ابن معطى من أحكامها فى التثنية . وذلك فى باب المعرب والمبنى ، وفى موضوعات أخرى فرقها على ابواب الالفية المختلفة . ويبدو بوضوح من المقارنة بين نظم **ابن معطى ونظم ابن مالك السابقين** . أن الثانى دار تقريبا فيما دار فيه الاول على ماذكرنا ، وان تأثر ابن مالك العام بابن معطى واضح لايخفى على العين الفاحصه . وإن كان منهج ابن مالك تفريق معلومات الباب ـ الذى فضل ابن معطى نظمه معتمداً ـ على أبواب منفرقة أملتها المناسبة وحمل عليها طريق التعليم والتربية التى راها ابن مالك اكثر مناسبة وأعظم أثراً فى عقول الدارسين . ولكل منهما وجه ليس من همنا هنا ان نبحث فيها او ان نرجح أحدهما على قسيمه . على أنه يمكن القول دون تميز وعلى وجه الاجمال بامتياز ابن مالك من جهة تميزه بتشقيق المسائل وتفصيلها ثم ترتيبها فى ابواب القبته وفصولها المتعددة على نحو واضح جيدّ ، فى حين كان ابن معطى يميل الى دمج الفروع الكثيرة وإيرادها تحت باب واحد لاتكون فيه فى بعض الاحيان واضحة بالمقدار الكافى أو كافية بالمقدار المرغوب . ويبدو هذا إلى حد ما فيما عرضناه من النصين السابقين لكليهما قبل قليل ، وكذلك فى غيرهما من النصوص .

وبامتياز ابن مالك من جهة تميزه ايضاً بوقفه فى ترجمات الابواب والفصول . ففى حين

صاغ ابن معطى العناوين مدمجة فى النظم نفسه . ولم يخصص ترجمة مستقلة لكل باب من أبواب الفيته . فقد قال مثلا عن أول أبوابها :

بالله ربّي فى الأمور أعتصم القول فى حدّ الكلام والكلم

وقال أيضاً عن باب المعرب والمبنى :

القول فى الاعراب والبناء الأصل فى الاعراب للأسماء

وقال عن نائب الفاعل :

القول فيا لم يسمّ فاعله قد يحذفُ الفاعلَ لفظاً جاهِله

وكان عنوان التعريف والتنكير عنده الشطر الأول من البيت التالي :

القول فى التعريف والتنكير تنكير الاسم الأصل كالتذكير

أقول فى حين فعل ابن معطى ذلك ، ترجم ابن مالك بعناوين عادية مستقله لأبواب الفيته ولبعض فصولها . فترجم للباب الاول مثلا بقوله (**الكلام ومايتألف منه**) ولباب المعرب والمبنى بهذين اللفظين . وكذلك فعل فى باب النائب عن الفاعل .

وإذا كان قد استقر فى قناعتنا بناء على ماسبق ان الفية ابن معطى كانت من مصادر الفية ابن مالك ، فانّه لاينبغى ان يستقرّ فى أذهاننا تبعا لذلك بحال من الاحوال ان الامر ينطوى بصورة بديهية على فضل السابق على اللاحق لمجرد أنّه سبق ، وعلى مزيّته عليه على وجه



الضرورة لهذا السبب . إذا من المؤكد ان تأثر ابن مالك بأبن معطى لم يكن ليمنع أبن مالك من ان نكون له استقلالية تفوق استقلالية أبن معطى وتربو عليها كما وكيفاً . فقد أنفرد أبن مالك بالرأى الخاص والاجتهاد والمستقل فى مواقف كثيرة ومسائل متعددة وقضايا متنوعة . وذلك على نحو ما حدث منه حين فسرّ الضرورة فى الشعر تفسيرا جديدا خالف فيه ما أصطلح عليه جمهور النحاة فيها . وحين خرج على ما ذهب اليه هذا الجمهور من طرح الاحتجاج بالحديث . فقد أخذ به . بل اكثر منه مخالفا لهم . وحين ابتكر عناوين ومصطلحات جديدة لم يستعملها النحاة قبله . ومن ذلك مصطلح النائب عن الفاعل بدلا من المفعول الذى لم يسمّ فاعله . ومصطلح البدل المطابق بدل بدل الكل من الكل . وغير ذلك .

لقد جعلت هذه النظرات الخاصة والمواقف المستقلة بالاضافة الى غيرها من العوامل منزلة أبن مالك العلمية وقيمة الفيته تفوقان بحق منزلة أبن معطى وقيمة الفيته . وأسهمت جميعاً فى ذيوع ألفية أبن مالك وأشتهارها وأعتبار ناظمها إماماً يرقى الى مرتبة المجتهدين ممّا لم يتح منه لابن معطى ولا لألفيته .

ولقد أكّد العلماء ما قاله أبن مالك نفسه عن خلاصته من أنّها (فائقة الفية أبن معطى) وأتفقوا على تفوّقها عليها . لم يشذّ عن ذلك احد فيا نعلم .

ولهذا التفوق أسباب كثيرة يردّ إليها . ومبنى هذه الاسباب ومدارها أنّ أبيات الفية ابن مالك أقل عدداً واكثر اختصاراً وأغزر علماً وأسلس بحراً وأشمل محتوى من أبيات الفية أبن معطى . ولقد رأينا قبل قليل نصوصاً لابن معطى ولابن مالك فى التثنية . وهى نصوص بينت بوضوح انّ أبن مالك كان اقدر فى عرض نفس المعانى بأبيات أقلّ .

وقد قارن بين الالفيتين من بعض الوجوه اثنان من أشهر المحشّين على شرحين شهيرين لألفية أبن مالك فذهب الصبان الى ان الفية ابن مالك فاقت قسيمتها **(لأنها من بحر واحد والفية ابن معطى من بحرين فانّ بعضها من السريع وبعضها من الرجز . ولأنّها اكثر أحكاماً من الفية أبن معطى** [١٢٧]) وكرر الخضرى نفس المعنى بقوله (وقد فاقت هذه

الفية ابن معطى لفظاً لأنها من بحر واحد ، وتلك من السريع والرجز ، ومعنى لأنها اكثر أحكاماً منها [١٢٨]

وممّا يستغرب أنّ ماراه هذان العالمان السابقان مزية لألفية ابن مالك على الفية ابن معطى رآه أحد الباحثين المعاصرين على عكس ذلك . وعبّر عن رأيه قائلا (عادة ناظمي القصائد العلمية ان يصوغوا قواعدهم على قصيدة من بحر واحد وقافية واحده ، أو أرجوزة متعددة القوافي من بحر الرجز ، وهذا الشكل الأخير هو الغالب على المنظومات العلمية . لكن ابن معطى حين صنّف ألفيته اختار شكلا لم يسبق إليه وهو أنّه نظم الألفية من بحرى الرجز والسريع كما قال في مقدمتها :

وذا حدا إخوان صدق لى على أن اقتضوا منّى لهم أنْ أجعلا
أرجوزة وجيزة في النحو عدتها الف خلت من حشو
لعلمهم بأنّ حفظ النظم وفقُ الذكى والبعيد الفهم
لاسيما مشطُور بحر الرجز إذا بُنى على ازدواج موجز
أو مايضاهيه من السريع مزدوج الشُطور كالتصريع

على أنّ اختيار ابن معطى لهذين البحرين مما يدلّ على حسّه الموسيقى المرهف . فالبحران متقاربان في وزنها ، وقد يقع الخلط بينهما أحياناً ، وهذا أبرز فرق بين الفية ابن معطى وألفية ابن مالك . فهذا نظم ألفيته كلها على بحر الرجز [١٢٩]

ويبدو أنه استضاء فيا ذهب اليه بما قاله ابن جمعه في شرحه لألفية ابن معطى «وأعلم أنّ الطريقة التى ارتكبها يجبي لم تسلكها العرب . إذ ليس في نظمها قصيدة من بحرين [١٣٠] » .

على أية حال لا مناص من تسجيل حقيقة تاريخية . ومن لفت الأنظار اليها . وهي لاشك حقيقة تقيد الناظر في مزايا الفية ابن مالك من خلال الموازنة بينها وبين الفية ابن معطى التى



تعد فى مقدمة مصادرها . فمن المقطوع به ان ابن معطى قد نظم ارجوزته الطويلة سنة ٥٩٥ هـ كما قال ذلك هو بنفسه في خاتمتها ولما كان قد ولد سنة ٥٦٤ كما تقول المصادر فانه يكون قد اتم نظمها وهو فى العام الواحد والثلاثين من عمره . وهو سن مبكر على كل حال . فى حين نرى ابن مالك قد نظم ألفيته تلخيصاً لكافيته الشافية المفرطة الطول التى سبقتها . وهذا يعنى بالضرورة سبق التجربة . ولحاق التهذيب بها . كما يعنى فى نفس الوقت انه مانظم خلاصته الاّ بعد ان رسخ قدمه فى النحو والنظم معا وأصبح إماماً مرموقا فيهما .



الهوامش

١ ـ برر ابن معطى فى مقدمة ألفيته نظمها بأنه :

لعلمهـم بان حفـظ النظم وفـق الـذكى والعبـد الفهم
ولاسيا مشطـور بحـر الرجز اذا بنـى على ازدواج موجز
أو مايضاهيـه من السربع مزدوج الشطـور كالتصريع

وذكر ابن الخباز فى شرحه لهذه المقدمة بان فى نظمه لطيفة وهو ان البيت الذى فيه ذكر الرجز من الرجز، والذى فيه ذكر السريع من السريع ١هـ . وقد اسكنت الياء من بنى لضرورة الوزن او على لغة طيىء، فانهم يسكنون الياء فى مثل هذه الأفعال .

٢ ـ قال ابن الخباز فى مقدمة شرحه لألفية ابن معطى « قال لى بعض من عد هذه القصيدة ان الخطبة واربعة ابيات من اخرها ليست من الألف »

٣ ـ انظر دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ٢٣٨

٤ ـ توفى ابن معطى سلخ ذى القعدة سنة ٦٢٨هـ وعمره اربع وستون سنة ، اى قبل ابن مالك باربع واربعين سنة ، ودفن بقرب تربة الامام الشافعى بعد ان اقام بمصر اربع سنوات « انظر فى ترجمته السيوطى ، بغية الوعاة ٢ : ٣٤٤ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٦ : ١٩٧ ، وطاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ١ : ١٩٦ ، وسركيس ، معجم المطبوعات ١ : ٢٤٥ ، وحاشية الخضرى على ابن عقيل ١ : ٢٢ ، والزركلى ، الأعلام ٩ . ١٩٢ ـ ١٩٣ وفيه ان « ابن الوردى ٢ : ١٥٧ سماه يحيى بن معطى ، وكذا فى البداية والنهاية ١٣ . ١٢٩ ، ومثله فى مفتاح السعادة ١ : ١٥٧ ، وهو فى الفلاكة ٩٣ يحيى بن عبدالنور » .

٥ ـ طبعت باسم الدرة الألفية فى علم العربية مع ترجمة هو لاندية وشروح فى ٧٩ صح و ١٥ صح مقدمة فى لايبسك سنة ١٨٩٥م باعتناء العلامة زمرستاين « انظر فنديك ، اكتفاء القنوع ٤٦٣ »

٦ ـ نشرت فى مصر بتحقيق محمود محمد الطناحى

٧ ـ وهى مخطوطة ، وصورتها معهد المخطوطات بجامعة الدولة العربية برقم ١٨ بلاغة ، وتقع فى تسع ورقات .

٨ ـ وجميعها مفقودة .

٩ ـ قيل انه جعل لكل من يحفظ مفصل الزمخشرى مائة دينار وخلعة ، وقد سمع هذا السلطان من التاج الكندى فى دمشق كتاب سيبويه وشرحه لابن درستويه ، وايضاح الفارسى « انظر السيوطى ، بغية الوعاة ١ : ٥٧١ ، ومحمد الطنطاوى ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ١٨٢ »

١٠ ـ انظر محمود محمد الطناحى فى تحقيقه « الفصول الخمسون » لابن معطى ١٤

١١ ـ لازم ابن معطى الملك الكامل فى مجالسه بمصر ، ويقال انه يسأله فى أحدها عن قولنا : ازيدا رايت غلامه ، فاملاه فى الجواب احدى عشرة ورقة « انظر خاتمة شرح ابن الخباز لألفية ابن معطى صورة ميكروفلم للمخطوطة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ١١٧ نحو »

١٢ ـ دائرة المعارف الاسلامية ١ ٣٩١



١٣ ـ انظر خاتمة شرح ابن الخباز لألفية ابن معطى .
١٤ ـ جمع ناشئ ، وهم الشارعون فى التعلم
١٥ ـ يقول ابن الخباز فى خاتمة شرحه لألفية ابن معطى : وجدت فى كثير من النسخ والخمس مائة ، وهذا لايجوز لاضافة المعرفة الى النكرة فكنت انشده والخمس المائة حتى وجدته فى نسخة قرئت عليه رحمه الله وبرد مضجعه وطيب مهجعه .
١٦ ـ انظر حاجى خليفة ، كشف الظنون ١ : ١٥٥
١٧ ـ انظر ابن خلدون ، المقدمة ٥١٦
١٨ ـ انظر السيوطى ، الاشباه والنظائر ١ : ٢٣٩ ، ٢ : ١٠٤ وغير ذلك
١٩ ـ انظر السيوطى ، بغية الوعاة ١ : ٤٤
٢٠ ـ حاجى خليفة ، كشف الظنون ١ : ١٥٥
٢١ ـ انظر مثلا السيوطى ، الأشباه والنظائر ١ : ١٢٨ ، ١٣٠
٢٢ ـ انظر ياسين العليمى ، حاشيته على شرح التصريح على التوضيح ١ . ١٧٦
٢٣ ـ انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ١ : ٣٦١ ، وبروكلمان ، تاريخ الادب العربى ٥ : ٣٠٦
٢٤ ـ السيوطى ، بغية الوعاة ١ : ٣٥
٢٥ ـ حاجى خليفة ، كشف الظنون ١ : ١٥٥
٢٦ ـ انظر السخاوى ، الضوء اللامع ١٠ : ٣٠٩
٢٧ ـ انظر الشوكانى ، البدر الطالع ٢ : ٣٥٢
٢٨ ـ انظر السيوطى ، بغية الوعاة ٢ : ٣٥٥
٢٩ ـ انظر ابن العماد ، شذرات الذهب ٧ : ٨٧

٣٠ ـ انظر حاجى خليفة ، كشف الظنون ١ : ١٥٣
٣١ ـ انظر الزركلى ، الأعلام ٩ : ٢٩٦

٣٢ ـ انظر كحالة ، معجم المؤلفين ١٣ . ٢٩٢
٣٣ ـ تضمن هذا الباب ابياتا لابن معطى فى مخارج الحروف وفى صفاتها وفى الضرورات الشعرية .

٣٤ ـ مقلوب المعنى ، اى ارتضاه لنا ، وهو الأجود كما جاء فى التنزيل : ورضيت لكم الاسلام دينا ، والقلب عند امن اللبس جائز ، ويجوز ان يكون المعنى على الظاهر وهو ان الله ارتضانا لدينه .
٣٥ ـ ويقال ايضا الرخوة .

٣٦ ـ اى بين الشديدة والمسترخية . هما النون والميم لأن فيهما غنة
٣٧ ـ ويسمى ايضا المستطيل

٣٨ ـ هو الصاد والسين والزاى لأنك تسمع منهن عند النطق صفيرا ، هذا وتتركب الكلمة من الحروف الهجائية ، والحروف الهجائية اصوات معتمدة على مقاطع الحلق واللسان والشفتين وعددها تسعة وعشرون حرفا ، وتنقسم باعتبار مخارجها الى ثمانية اقسام : الحلقية وهى الهمزة والحاء والخاء والعين والغين والقاف والهاء ، والشفهية وهى الباء والفاء والميم ، والنطعية نسبة الى النطع وهو ماظهر من غار الفم الأعلى فيه اثار كالتحزيز وهى التاء والدال والطاء ، واللثوية نسبة الى اللثة وهى ما حول

الأسنان من اللحم وهى التاء والذال والظاء . والأسلية نسبة الى اسلة اللسان وهى راسه وهى الزاى والسين والصاد . والذلقية او الذولقية نسبة الى ذولق اللسان وهو طرفه وهى اللام والراء والنون والشجرية نسبة الى الشجر وهو مخرج الفم وهى الجيم والشين والضاد والكاف . والتى لا مقطع لها « المقطع هو مخرج الحرف من الحلق » ولكنها تخرج من هواء التنفس وهى الألف والواو والياء . وهناك طريقة لمعرفة مخرج الحرف وهى ان نسكنه وتدخل عليه الهمزة فى اوله ثم نصغى اليه فحيث ينقطع صوته فهناك مخرجه نحو اب . اد الخ .. » انظر جرجى عطية . سلم اللسان فى الصرف والنحو والبيان . الدرجة الرابعة ٥ ـ ٦ »

٣٩ ـ مقدمة شرح الفية ابن معطى لابن الخباز

٤٠ ـ خاتمة شرح الفية ابن معطى لابن الخباز

٤١ ـ ابن معطى ـ الفصول الخمسون ٢١٢

٤٢ ـ ابن معطى . الفصول الخمسون ١٨٨

٤٣ ـ ابن معطى . الفصول الخمسون ٢٣٧

٤٤ ـ انظر تحقيق الطناحى لفصول ابن معطى ٨٠ نقلا عن شوقى ضيف فى المدرسة النحوية ٣٢٣ ولقد انتشر بين الدارسين والباحثين نسبة مصطلح النعت للكوفيين ونسبة مصطلح الصفة للبصريين . وراج القول بذلك عندهم حتى كاد يصبح حقيقة مسلمة لاشك فيها ينقلها باحث معاصر عن مثله واوشك ان يتصور من هذا ان البصريين لم يستعملوا مصطلح النعت قط . ويبدو ان مرد ذلك ماراوه من كثرة استعمال هذا الفريق لهذا المصطلح وذاك . فنسبوا كل مصطلح للفريق الذى اكثر جمهرة افراده استعماله . وعندى كما اشار بذلك احد افاضل الزملاء ان هذا غير سديد . اذ كان من البصريين ايضا استعمال مصطلح النعت كما كان منهم استعمال مصطلح الصفة . فقد جاء فى كتاب امامهم سيبويه مثلا استعمال النعت فى اكثر من موضع . قال سيبويه « هذا باب مجرى النعت على المنعوت . والشريك على الشريك . والبدل على المبدل منه وما اشبه ذلك » وفى اول هذا الباب يقول « فاما النعت الذى جرى على المنعوت فقولك مررت برجل ظريف قبل . فصار النعت مجرورا مثل المنعوت »« سيبويه . الكتاب ١ . ٢٠٩ ـ ٢١٠ » وقال سيبويه ايضا « هذا باب ماشرك بين الاسمين فى الحرف الجار فجريا عليه كما اشرك بينهما فى النعت فجريا على المنعوت »« سيبويه . الكتاب ١ : ٢١٨ » وجاء فى باب « المبدل من المبدل منه » قول سيبويه » .. فجاز هذا كما جاز المنعوت المذكور نحو قولك ما مررت برجل صالح بل طالح »« سيبويه . الكتاب ١ : ٢١٩ » وقال سيبويه كذلك « هذا باب مجرى نعت المعرفة عليها »« سيبويه . الكتاب ١ : ٢١٩ »

٤٥ ـ ابن معطى . الفصول الخمسون ٢٣٤ . ٢٣٥

٤٦ ـ ابن معطى . الفصول الخمسون ١٧٦

٤٧ ـ تقرأ الضاد بدون تنوين للوزن

٤٨ ـ انظر السيوطى . الهمع ٢ ١٣٩

٤٩ ـ هو ابو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفى المتوفى سنة ١٥٦هـ « انظر الزركلى . الأعلام ٢ : ٣٠٨ »

٥٠ ـ من الآية الأولى من سورة النساء .

٥١ ـ هذه القراءة بتخفيف تساءلون بحذف احدى التاءين . اما القراءة المشهورة فهى . واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام . بنصب الارحام وادغام احدى التاءين فى السين بعد قلبها سينا لان الاصل تتساءلون . والمعنى على هذه القراءة المشهورة : اتقوا الله الذى تساءلون به فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض اسالك بالله وانشدك بالله واتقوا الأرحام ان



تقطعوها . أما على قراءة حمزة فالمعنى . اتقوا الله الذى تساءلونَ به وبالارحام . لأنهم كانوا يتناشدون بالرحم ايضا كما يتناشدون بالله . وقد اجاب البصريون عن قراءة حمزة بتأويلها فقالوا ان الواو فى « والارحام » ليست للعطف وانما هى للقسم والجر وذلك على عادة العرب من تعظيم الأرحام والقسم بها . وجملة ان الله كان عليكم رقيبا . جواب القسم . والأرحام مقسم به مجرور بواو القسم . والجار والمجرور متعلق بفعل القسم المحذوف . والتقدير : اقسم والارحام . اى أقسم بالأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » انظر شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ٢ ، ١٨٧ . وحاشية الخضرى عليه ٢ ، ٦٧ . وحاشية السجاعى عليه ٢٠٧ . وحاشية ابن حمدون على شرح المكودى لألفية ابن مالك ٢ . ٢٧ »

٥٢ ـ البيت من شواهد سيبويه التى لم يعرف لها قائل » انظر سيبويه . الكتاب ١ . ٣٩٢ . وانظر احمد راتب النفاخ . فهرس شواهد سيبويه ٧٠ » وقد اجاب البصريون عن هذا البيت بشذوذه او بالضرورة حين اعياهم تاويله . ومعناه : قد قربت الآن يأيها الرجل تذمنا وتسبنا بالصريح بعد ذمك وسبك فينا بالكناية وقد كنت قبل ذلك بيننا وبينك محبة عظيمة لا تقتضى ذلك . وحيثما صدر فينا منك ماذكر ففارقنا لان هذا ليس بعجيب من مثلك ومن مثل هذه الأيام » انظر حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ٢ ، ٦٧ . وشرح شواهد ابن عقيل للجرجاوى ٢١٠ وشرح شواهد ابن عقيل للعدوى ٢١٠ »

٥٣ ـ غوط جمع غائط وهو المكان المطمئن من الأرض . ونفانف جمع نفنف بوزن جعفر وهو الهواء بين الشيئين . وكل شيء بينه وبين الأرض مهوى فهو نفنف . وفسر الأصمعى النفنف بالمهواة بين الجبلين . والسوارى جمع سارية وهى العمود . شبهوا أنفسهم بالسوارى لطول أجسامهم . والطول مما تتمدح به العرب . ومعنى البيت : ان قومه طوال وان السيف على الرجل منهم كانه على سارية من طوله وبين السيف وكعب الرجل منهم غائط اى مكان مطمئن من الأرض . ونفانف اى واسعة . اى بين السيف والكعب مسافة . وعند البصريين الأصل ان يكون . فما بينها وبين الكعب غوط نفانف باعادة الجار الذى هو اسم وهو المضاف . والبيت محمول عندهم على الشذوذ او الضرورة » انظر حاشية الصبان على الأشمونى وشرح الشواهد للعينى ٣ ، ١١٥ »

٥٤ ـ انظر خالد الأزهرى . شرح التصريح على التوضيح ١ : ١٤٨

٥٥ ـ انظر ابن معطى . الفصول الخمسون ٨٣ ـ ٨٤

٥٦ ـ انظر ابن معطى . الفصول الخمسون ١١٣ ـ ١١٤

٥٧ ـ انظر ابن معطى . الفصول الخمسون ١١٥

٥٨ ـ انظر ابن معطى . الفصول الخمسون ١١٣

٥٩ ـ انظر ابن هشام . المغنى ٨٣٥ ـ ٨٣٦

٦٠ ـ انظر ابن معطى . الفصول الخمسون ٦٢ ـ ٦٣

٦١ ـ السبكى . طبقات الشافعية الكبرى ٨ ، ٦٧

٦٢ ـ انظر ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ٧ : ٢٤٤

٦٣ ـ السيوطى . بغية الوعاة ١ : ١٣٠

٦٤ ـ احمد امين . ظهر الاسلام ٣ : ٩٤

٦٥ ـ انظر ابن مالك . التسهيل . تمهيد المحقق ٤٤

٦٦ ـ انظر الزركلى . الأعلام ٧ . ١١١

٦٧ ـ انظر السيوطى . المزهر ٢ ، ٢٧٩ ـ ٢٨٢

٦٨ ـ انظر ابن مالك، التسهيل، تمهيد المحقق ٣٥
٦٩ ـ القفطي، انباه الرواة ٢ : ٣٧٩
٧٠ ـ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ٨ : ٦٧
٧١ ـ د/خديجة الحديثي، ابو حيان ٣٢٨
٧٢ ـ الصبان، حاشيته على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١ : ١٥
٧٣ ـ الأشموني، شرح لألفية ابن مالك ١ ـ ١٤
٧٤ ـ وقد عددتها فوجدت انها مع المقدمة والخاتمة الف بيت واثنين، وتقع المقدمة في سبعة ابيات في حين تقع الخاتمة في اربعة ابيات.
٧٥ ـ الصبان، حاشيته على شرح الأشموني الالفية ابن مالك ١ : ١٤
٧٦ ـ لسيوطي بغية الوعاة ١ : ١٣٣
٧٧ ـ انظر باحيان، منهج السالك في الكلام على الفية ابن مالك، المقدمة ١ ـ ٢
٧٨ ـ انظر السيوطي، بغية الوعاة ٢ : ٩٣
٧٩ ـ السيوطي، بغية الوعاة ١ ١٥٥
٨٠ ـ وهو رفيق احمد بن يوسف الرعيني الغرناطي الأندلسي المتوفى ٧٧٩هـ وهما المشهوران معا بالاعمى والبصير، وكان ابن جابر يؤلف وينظم والرعيني يشرح ويكتب.
٨١ ـ انظر السيوطي، بغية الوعاة ١ : ٣٥
٨٢ ـ حاجي خليفة، كشف الظنون ١ : ١٥٢
٨٣ ـ انظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ٥ . ٢٨١
٨٤ ـ هو القاسم بن فيره بن خلف بن احمد الشاطبي الرعيني الأندلسي صاحب منظومة حرز الأماني ووجه التهاني الطويلة في القراءات السبع وهي المعروفة بالشاطبية « انظر الزركلي، الأعلام ٦ ١٤ »
٨٥ ـ انظر الزركلي، الأعلام ١ ٧١
٨٦ انظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ٥ ٢٨٩
٨٧ ـ انظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٥ ٦٧
٨٨ ـ انظر حاجي خليفة، كشف الظنون ١ ١٥٢
٨٩ ـ انظر السيوطي، بغية الوعاة ١ : ٢٧٨
٩٠ ـ انظر حاجي خليفة، كشف الظنون ١ ١٥٢
٩١ ـ انظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ٥ ٢٨٥، وذكر المترجم أن بروكلمان قد خلط بين الأشموني والشمني، وهذا غير دقيق لأن احدا غير بروكلمان لم يقل بوفاة الأشموني سنة ٨٧٢هـ.

٩٢ ـ من طبعاته طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥١م وبها منهاء موصل الطلاب الى قواعد الاعراب » لابن هشام الأنصاري.

٩٣ ـ طبعت في القاهرة سنة ١٣١٤هـ على هامش شرح ابن عقيل للألفية
٩٤ ـ انظر حاجي خليفة، كشف الظنون ١ : ١٥٢



٩٥ ـ انظر بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ٥ : ٢٨٥
٩٦ ـ انظر بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ٥ : ٢٨٨
٩٧ ـ على هذا الشرح للشواهد حاشية لياسين بن محمد غرس الدين الخليل المتوفى سنة ١٠٨٦هـ
٩٨ ـ طبع في القاهرة عدة مرات وعلى هامشة شرح للشواهد لمحمد بن قطة العدوى
٩٩ ـ وعليها تقريرات لمحمد بن محمد الانبابي المتوفى سنة ١٣١٣هـ
١٠٠ ـ انظر نماذج في ذلك كله في ابن مالك ، التسهيل ، تمهيد المحقق ٥١ ـ ٩٩
١٠١ ـ انظر شرح الأشموني ٢ : ٢٧٦
١٠٢ ـ من أية ١٣٧ من سورة الأنعام ، والقراءة والمشهورة : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم بالرفع فاعل زين
١٠٣ ـ انظر الفية ابن مالك ، باب الأضافة
١٠٤ ـ انظر الفية ابن مالك ، باب الحال
١٠٥ ـ انظر شرح الأشموني ٢ ، ١٧٦ ، كذلك يشير بقوله فقد ورد الى مجموعة من الأبيات المسموعة عن شعراء ممن يحتج بهم ، « انظر شرح الأشموني ٢ ، ١٧٧ ـ ١٧٨ »
١٠٦ ـ أية ٢٨ من سورة سبأ .
١٠٧ ـ المقري ، نفح الطيب ٢ ٤٢٢
١٠٨ ـ جمع الزمخشري في المفصل الأبواب الخاصة بالأسماء متعاقبة ، يليها الأبواب الخاصة بالأفعال ، فالخاصة بالحروف ، ثم الأبواب الخاصة بالمشترك
١٠٩ ـ انظر عباس حسن ، النحو الوافي ، المقدمة ١١
١١٠ ـ ساق احد الباحثين اثنتى عشرة مسألة من هذا القبيل ، وساق غيره اكثر من ذلك مما اختلف فيه راى ابن مالك من كتاب لآخر ، وبين نسخة واخرى من كتاب واحد « انظر تمهيد محمد كامل بركات تسهيل ابن مالك ٩٣ ـ ٩٩ . وانظر بحث عبد المنعم هريدى بعنوان تعارض الأراء في نحو ابن مالك في مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي ، العدد الرابع عام ١٤٠١هـ ، ١٨١ ـ ١٩٣ »
١١١ ـ انظر في هذه المعاني ابن مالك ، التسهيل ، تمهيد المحقق ١٠٠
١١٢ ـ انظر شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢ ، ١٦٦ ، ٤ : ٦٣ وغير ذلك
١١٣ ـ ابو حيان ، منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك ، المقدمة ١ ، ٢
١١٤ ـ انظر د/ خديجة الحديثي ، ابو حيان النحوي ٣٢٨
١١٥ ـ انظر ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ١ : ١٨١

١١٦ ـ كان الرجل يغير على القبيلة فيستاق من ابلها فيلحقه واحد منها فيقول له

تراكهـا من ابـل تراكها امـا ترى الموت لدى إدراكها

فيقول له الغير
مناعهـا من ابـل مناعها الا ترى الموت لدى ارباعها

والبيتان من شواهد سيبوية ، ونقل عن ابن خلف نسبة الأول الى طفيل بن يزيد الحارثى ، ومعنى البيتين هى محمية من ان يغار عليها فاتركها وانج بنفسك . وفى شرح ابن يعيش للمفصل ورد البيت الأول

تراكهـا من ابـل تراكها امـا ترى الحبـل لدى اوراكها

« انظر فهرس شواهد سيبويه للنفاخ ١٢١ ، وشرح ابن يعيش للمفصل ٤ : ٥٠ »

١١٧ ـ دخل التنوين الغالى على المخترقن والخفقن على الرغم من أقتران كل منهما بأل ، وال والتنوين لايجتمعان كما هو معروف ، واصلهما المخترق والخفق ، ويكتب التنوين الغالى نونا ساكنة ، والغرض من الحاقها الدلالة على الوقف ، ولهذا لايلحق التنوين الغالى الا القافية المقيدة اى الساكنة .

١١٨ ـ الآية ٣١ من سورة فاطر

١١٩ ـ ورد هذا البيت فى كتب النحو بصور متعددة ، فقد ورد على النحو الذى ذكرناه ، وورد ايضا :

لعـزة موحشـا طلل يلـوح كأنـه خلل

ورد كذلك

لعـزة موحشـا طلل قديم عفـاه كل اسحـم مستديم

ورد ايضا

لميـة موحشـا طلل قديم عفـاه كل اسحـم مستديم

« انظر كتاب سيبويه ١ : ٢٧٦ ، وحاشية الصبان على الاشمونى ٢ : ١٧٤ ، وشرح التصريح على التوضيح ١ : ٣٧٥ »

١٢٠ ـ أية ٢ من سورة المجادلة

١٢١ ـ أية ٣١ من سورة يوسف

١٢٢ ـ المذروان أطراف الاليتين ، أو الموضعان اللذان يقع فيهما الوتر من القوس . والقياس أن يقال مذريبها بالياء « انظر شرح ابن يعيش للمفصل ٤ ١٤٩ »

١٢٣ ـ انظر كتاب سيبوية ٢ ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٦١ وقد ذكر السيرافى انه يقال للمقصور ايضا منقوص فاما قصرها فهو حبسها عن الهمزة بعدها واما نقصانها فنقصان الهمزة منها » انظر كتاب سيبويه ٢ : هامش ١٦١ » وانظر مقتضب المبرد ١ : ١١٧ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ٢٦٠ ، ٣ ٧٩ وقد جمع سيبويه والمبرد الكلام فى المقصور والممدود فى باب واحد ، وفرقا الكلام على المنقوص فى اماكن متعددة ، فهما يتشابهان فى أن أخر كل منهما الف بصرف النظر عن الفرق بين الألف فى كل منهما ، فى حين ان المنقوص يكون مختوما بالياء .

١٢٤ ـ انظر ابن معطى ، الفصول الخمسون ١٠٢

١٢٥ ـ انظر ابن معطى الفصول الخمسون ٥٥ ـ ٨٦ ، ١١٣ ـ ١٢٩ ، وابن مالك ، التسهيل ٤٥ ، ٦٦ ـ ٦٨

١٢٦ ـ أما عناوين أبواب ألفية ابن معطى التى نجدها فى شروح الألفية فهى ليست من وضعه ، بل هى من وضع شراح الفيته من بعده ، يدل على هذا اننا وجدنا فى شروح الألفية على سبيل المثال عنوان « نائب الفاعل » ولكننا وجدنا ابن معطى يبدأ القول فيه

القـول فيما لم يسـم فاعله قد يحـذف الفاعـل لفظـا جاهله

١٢٧ ـ انظر ابن مالك ، التسهيل ٤٨ ، ٤٩



١٢٧ ـ الصبان ، حاشيته على شرح الأشمونى الألفية ابن مالك ١ : ١٧
١٢٨ ـ الخضرى ، حاشيته على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ١ : ١٢
١٢٩ ـ ابن معطى ، الفصول الخمسون ٣٤ ، ٣٥ بتصرف
١٣٠ ـ إنظر ابن معطى ، الفصول الخمسون ٣٤
١٣١ ـ انظر دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٣٩١



● مصادر البحث ومراجعه ●

١ ـ الأشباه والنظائر . السيوطى . مصر ١٩٧٥م . تحقيق طه سعد

٢ ـ الأعلام . الزركلى . ط ٣ بيروت ١٩٦٩م

٣ ـ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع . ادواردفنديك . مطبعة الهلال بمصر ١٨٩٦م

٤ ـ الفية ابن مالك . ط ٢ بمطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠م

٥ ـ الفية ابن معطى . تحقيق زترستاين . ليبزج ١٩٠٠م

٦ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة . القفطى . دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٢م . تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم

٧ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . الشوكانى . مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٨هـ

٨ ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة . السيوطى . عيسى الحلبى سنة ١٩٦٤م . تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم

٩ ـ تاريخ الأدب العربى . بروكلمان . ترجمة د/ رمضان عبدالتواب . دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥م .

١٠ ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد . ابن مالك . القاهرة سنة ١٩٦٧م . تحقيق محمد كامل بركات

١١ ـ حاشية ابن حمدون على شرح المكودى لألفية ابن مالك . عيسى الحلبى بدون تاريخ .

١٢ ـ حاشية الخضرى على ابن عقيل . مصطفى الحلبى سنة ١٩٤٠م .

١٣ ـ حاشية السجاعى على ابن عقيل . المطبقة الأزهرية سنة ١٣١٠هـ .

١٤ ـ حاشية الصبان على الأشمونى . عيسى الحلبى بدون تاريخ .

١٥ ـ حاشية ياسين العليمى على شرح التصريح على التوضيح . عيسى الحلبى بدون تاريخ .

١٦ ـ أبو حيان النحوى . د/ خديجة الحديثى . دار النهضة ببغداد ١٩٦٦م .

١٧ ـ دائرة المعارف الاسلامية . دار الشعب بمصر .

١٨ ـ الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة . ابن حجر العسقلانى . دار الكتب الحديثة بمصر سنة ١٩٦٦م . تحقيق محمد جاد الحق .

١٩ ـ سلم اللسان فى الصرف والنحو والبيان . جرجس شاهين عطية . الدرجة الرابعة . ط ٥ دار الريحانى . بيروت



٢٠ ـ شذرات الذهب فى أخبار محمد دهب . ابن العماد الحنبلي . مكتبة القدس . القاهرة سنة ١٣٥١هـ
٢١ ـ شرح الأشمونى على الألفية . عيسى الحلبى بدون تاريخ
٢٢ ـ شرح الفية ابن مالك . ابن عقيل . ط ٧ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٣م بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
٢٣ ـ شرح الفية ابن معطى . ابن جمعة . ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٦٣ نحو
٢٤ ـ شرح الفية ابن معطى . ابن الخباز . ميكروفلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ١١٧نحو
٢٥ ـ شرح التصريح على التوضيح . خالد الأزهرى . عيسى الحلبى بدون تاريخ .
٢٦ ـ شرح شواهد ابن عقيل . الجرجاوى . عيسى الحلبى بدون تاريخ .
٢٧ ـ شرح شواهد ابن عقيل . العدوى . عيسى الحلبى بدون تاريخ .
٢٨ ـ شرح الشواهد . العينى . عيسى الحلبى بدون تاريخ
٢٩ ـ شرح المفصل . ابن يعيش . المطبعة المنيرية بالقاهرة بدون تاريخ .
٣٠ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . السخاوى . مكتبة القدسى . القاهرة سنة ١٣٥٥هـ .
٣١ ـ طبقات الشافعية الكبرى . تاج الدين السبكى . تحقيق محمود الطناحى وعبدالفتاح الحلو . عيسى الحلبى سنة ١٩٧١م .
٣٢ ـ ظهر الاسلام . احمد امين ط ٤ مكتبة النهضة المصرية
٣٣ ـ الفصول الخمسون ابن معطى . تحقيق محمود الطناحى . عيسى الحلبى سنة ١٩٧٦م .
٣٤ ـ فهرس شواهد سيبويه . احمد راتب النفاخ . بيروت سنة ١٩٧٠ .
٣٥ ـ الكتاب . سيبويه . طبعة بولاق سنة ١٣١٦ .
٣٦ ـ كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون . حاجى خليفة . استانبول سنة ١٩٤٣م
٣٧ ـ مجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى . جامعة ام القرى . العدد الرابع عام ١٤٠١هـ .
٣٨ ـ المدارس النحوية . د/شوقى ضيف . دار المعارف بمصر . سنة ١٩٦٨م
٣٩ ـ المزهر فى علوم اللغة وانواعها . السيوطى . عيسى الحلبى . تحقيق محمد احمد جاد المولى وزميله
٤٠ ـ معجم المؤلفين . عمر رضا كحالة . دمشق سنة ١٩٦١م .
٤١ ـ معجم المطبوعات . سركيس . مطبعة سركيس بمصر ١٩٢٨م
٤٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . احمد فؤاد عبد الباقى . مؤسسة جمال للنشر . بيروت
٤٣ ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب . ابن هشام . تحقيق مازن المبارك وزميله . ط ٥ بيروت ١٩٧٩م
٤٤ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة . طاش كبرى زاده . مطبعة الاستقلال الكبرى بمصر بدون تاريخ
٤٥ ـ المقتضب . المبرد . تحقيق د/عضيمة . القاهرة سنة ١٩٦٣م

٤٦ ـ المقدمة . ابن خلدون . دار الشعب بالقاهرة بدون تاريخ
٤٧ ـ منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك . ابو حيان الاندلسي . الولايات المتحدة سنة ١٩٤٧م تحقيق سدني غليزر
٤٨ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ابن تغري بردي . دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٩م.
٤٩ ـ النحو الوافي . عباس حسن . ط ٤ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م
٥٠ ـ نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة . محمد الطنطاوي . ط ٢ سنة ١٩٦٩م
٥١ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . المقري . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
٥٢ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع . السيوطي . دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .
٥٣ ـ وفيات الأعيان . ابن خلكان . تحقيق د/ احسان عباس . بيروت سنة ١٩٧٨م

